

أدونيس

# أوراق في الريح

(١٩٥٥ - ١٩٦٠)

- صياغة نهائية -

منشورات دار الآداب - بيروت

**أوراق في الريح**



جميع الحقوق محفوظة

صورة الغلاف  
للفنان عبدالرزاق حموده

طبعة جديدة

١٩٨٨

## أوراق في الريح

- ١ -

لأنني أمشي  
أدركني نعشي .

- ٢ -

أسيرُ في الدَّرب التي تُوصِلُ اللهَ  
إلى الستائر المُسدَّلة  
لعلني أقدر أن أبدلَهُ .

- ٣ -

قالَ خَطُوي وَرَدَّدتْ أبعادي :  
(قد تكون الحياة أضيقَ من ثقبِ صغيرٍ في كومةٍ من رمادٍ) .

- ٤ -

كاللعبِ  
تركض في مفاصلي  
كلّ رياحِ التعبِ،  
هل رُوِّعتْ من لَهبي  
فالتجأت لريشتي  
واختبأت في كتبي؟

- ٥ -

حولي، على وجه الضحى، صدأً  
يغفو على بابي  
في شكل أظفارٍ وأنيابٍ  
أرنوله بغدي وأغسله  
بدمي وأعصابي .

- ٦ -

الموعد المجهولُ في صمت العذابِ  
إبرّ تخطيط لي إهابي .  
عميتُ دروبي : أين وجهُ الأفق يقرأ لي كتابي؟

- ٧ -

وطني يُغْلِغُلُ في متاو أجرد  
هذا غد؟ لا لستُ من هذا الغد.

- ٨ -

نهرُ العالم ارتوى  
من سراديب رجسه  
أرضه ، منذُ كَوْنتُ  
أطفأتُ شمعة الغدِ ،  
قال عنه تجلّدي :  
«أنا أجري بعكسه» .

- ٩ -

لكي تقول الحقيقة  
غبر خطاك ، تهباً  
لكي تصير حريقه .

- ١٠ -

كلّ العالم فيّ جديد  
حين أريدُ .

- ١١ -

لأنه روى من ديه قوله  
لأنه أسمى  
من كل من حوله،  
قالوا له: «أعمى»  
وانتحلوا قوله.

- ١٢ -

حتى الخطيئة،  
تتلبس الصور المضيئة  
وتقول: «حدسي مطلق بكر، وتجربتي بديته».

- ١٣ -

يبتكرون الحياة بالعدد  
بواحدٍ جائعٍ بدون يد،  
وآخرٍ نصفه من الزبد:  
لا يُبدع الرملُ أيُّ أغنيةٍ  
ولا تُحسُّ الأشياءُ بالأبد.



- ١٤ -

يطغى بيّ الحُلْمُ  
فأضبعُ من شَغَفٍ،  
وأكاد بالعبثِ الفضيّ ارتطمُ.

- ١٥ -

لا، لا. أحبّ، أحبّ أن ألقا:  
وبسطتُ أجنحتي ومنحتها الأفقا  
فتناثرت مِرْقا. . .

- ١٦ -

بشرة من المَلَلُ،  
أردم كلّ لحظةٍ  
بُحيرةً من الأملِ.

- ١٧ -

في جانحي دليلُ  
يسير بي للطريق  
وفي الطريق رمادُ  
يخبو، ووهجُ حريق.

- ١٨ -

أمسحُ بانتظاري  
عناكبَ العُبارِ . . .

- ١٩ -

بعد غلِّ أبنِي  
بيتيَ بالأمسِ  
وأمسِ كالرَّمسِ :  
وارحمةَ الشمسِ . . .

- ٢٠ -

قال لي تاريخي الغارِسُ في الرِّفضِ جذورهُ:  
«كلُّما غبتَ عن العالمِ أدركتَ حضورَهُ» .

- ٢١ -

ناضلُ حتى يصلُ الحجْرُ  
للشمسِ - لِمَا لا يُتَنظَرُ .

- ٢٢ -

في الطَّاقةِ الخَرْزِيَّةِ  
ما زال خيطُ بصيصِ

من الضحى، وبقية.

- ٢٣ -

أصوغ من وسادي المحجر  
أغنيتي وريشتي ودفتري.

- ٢٤ -

لا، لم يُقَطَّفْ بعدُ الثمرُ  
فهو جنينٌ مُنْتَظَرٌ...

- ٢٥ -

أجدُرُ بالحاضرِ لو يُقَلَّبُ:  
لو كعبه يحلم، أو يكتُبُ...

- ٢٦ -

قال الربييعُ:  
«حتى أنا في كلِّ ثانية أضيعها، أضيعُ».

- ٢٧ -

أنا بيتُ الضوء الذي لا يُضاءُ:  
قلقي شعلةٌ على جبل التيه  
وحبي منارةٌ خضراءُ.

- ٢٨ -

في عروقي تغفو طواعيةً الحلم ، وتبكي قيثارة الأشياء :  
ما على الفجر لو ترسم خطوي  
ما على الشمس ، لو تسير وراثي ؟

- ٢٩ -

في بلادي تمشي أمامي حفرة  
صُنعت من دمٍ وعَسْفٍ ومكرٍ ،  
في بلادي تُبنى السماء بشعرة  
وتُهدد الدنيا بلطمة ظفرٍ .

- ٣٠ -

رَقِصت بين جفوني الخائفة  
جثة الليل وحرباء المدينة ،  
فَتَمَنَعْتُ بعشتار الحزينة  
ورسمت العاصفة .

- ٣١ -

أمس ، فأره  
حَفَرْتُ في رأسي الضائع حفرة ؛

رَبِّمَا تَرْغَبُ أَنْ تَسْكُنَ فِيهِ  
رَبِّمَا تَطْمَحُ أَنْ تَمْلِكَ فِيهِ  
كُلَّ نَيْهٍ  
رَبِّمَا تَرْغَبُ أَنْ تُصْبِحَ فَكْرَهُ . . .

- ٣٢ -

أَعْطِ لِلْفَأْرَةِ سَوْطًا  
تَتَبَخَّرُ كَالطُّغَاةِ ،  
رَجِمُ الْفَأْرَةِ مَرْحُومٌ بِذَنْبِ وَبِشَاةٍ .

- ٣٣ -

شَدَّ عَلَى لِسَانِهِ وَكَمًّا  
فَمَاتَ ، بَعْدَ بَرَهَةٍ ، أَصَمًّا .

- ٣٤ -

بَدَّلْ حَتَّى خَطَاةً  
بِالْأَلَاةِ :  
كَيْفَ يَصُوغُ مَبْدَأَهُ ؟

- ٣٥ -

يَا وَجْهَ الْمَسْكَنِ ، وَجْهَ الْأَقْفِ .

غيرَ شمسك، أو فاحترقِ . . .

- ٣٦ -

أعمقُ أن أغيبا -

أن أسكنَ الغريبا،

لكي أصوغَ شكلَ السؤال، أو أجيبا.

- ٣٧ -

هذا الجيل الطالع بعدي مثلَ هدير الأشياءِ

هذا الجيل وقفتُ عليه كلَّ غنائي

لم يُولد بعد، ولكن ها هو ينبض في أعماق الوطن

ها هو يحرق ثوب العفنِ .

ها هو ينقب سدَّ الأمسِ ،

بيد الشمسِ ،

ذاك الجيل الطالع بعدي مثل الماءِ

مثل هدير الأشياءِ .

- ٣٨ -

قلبتُ كرسيَّ عرشي :

فحين أزهو وألهو

أصوغُ ، في السرِّ، نعشي

وحين أتعبُ، أمشي .

- ٣٩ -

تيسُ، تيسُ أعصابي  
كالقشُّ، كفأس الحطَّابِ :  
أي دخيلٍ تحت إهابي؟

- ٤٠ -

لأنَّ الأفقُ صدى كلُّهُ  
قلبٌ من الآتي وتسييحُ،  
لا تهرمُ الريحُ .

- ٤١ -

أرقبُ اللهَ عن كُتبِ  
بصري نورُ شمعةٍ  
وحناياي من لهبِ :  
وحدهُ، يفهم التَّعبُ .

- ٤٢ -

لا أنحني  
إلا لأحضن موطني

أنا صدرُ أمِّ مرضعٍ تحنو، وجبهتهُ مؤمنٍ .

- ٤٣ -

من يرى الموتَ مثلهُ والحياةَ،  
يكتب الليلَ والنهارَ بعينيه  
وتمحو أوراقه الممّحاة .

- ٤٤ -

لأنه يحيا صدىً وأشتاتا،  
إحساسه ماتا .

- ٤٥ -

هذا العالمُ، منذُ ابتداءً  
لم يُطفئهُ حتى . . . حتى الظمأ . . .

- ٤٦ -

يتكىءُ السجنُ على قملتينِ :  
إحداهما حُبلي، وتلك التي  
ماتت، تصبُّ الأكلَ في قَصْعَتَيْنِ .

- ٤٧ -

يا شمعةَ المستقبلِ البصيرةَ،



مالي أخاف الطُّرُقَ القصيرة؟

- ٤٨ -

أحسّ المغيَّبَ يَنتِ قَربِي :  
خطايَ اِكتِشافاً  
وسيريَ أبعدُ من كلِّ درِبِ .

- ٤٩ -

قال الغد الحائرُ :  
«إن طفر اللحنُ  
من شفتي طائرُ ،  
لا يطربُ الغصنُ» .

- ٥٠ -

هذا العالمُ : من بينه  
يرميه أكثرُ في التَّيِّهِ .

- ٥١ -

رأسه تحت وجهه  
والعصا فوق رأسه  
تتلهى بيأسه ،

والليالي تخثرت  
عَلَقاً مِلاًءَ نَفْسِهِ .  
خلف عينيه قِصَّةً  
لم تُترجَمَ حروفها  
جذعها الشكَّ والحذرُ  
والمآسي قَطُوفُها .  
عمره شقُّ حَفْرَةٍ  
وسرايبُ تُبْتَكِرُ  
هو دنيا طويلاً  
برغيفين تُخْتَصِرُ .  
غده خلف أمسه  
وحناياه للتَهَرُّؤِ والقِيءِ مُشْتَلٍ ،  
كادت الأرضُ تجفُلُ  
حين هَمَّتْ بلمسه .

زمن الشمس في خطاه جليدٌ محجَّرُ  
والثواني تفسَّخت عبثاً لا يُفسَّرُ  
في ينابيع حدسيه .

قلبه خيط سنبلٍ  
واختلاجاته قصبُ

رُبَّ جَفْنِينٍ مِنْ حَطْبٍ  
رُفْرَفَا عِبْرٍ هَجْسِيهِ :  
لَا تَقْلُ مَاتَ يَأْسُهُ  
نَبْضُهُ سَرَّ يَأْسِيهِ .

- ٥٢ -

بعد الموتِ ،  
لَا صَوْتٌ يَجْسِدُ لِي صَوْتِي .

- ٥٣ -

أَتَفْهَمُنِي وَأَنَا كَالْحَيَاةِ عَمِيقٌ بَعِيدٌ؟  
وَكَيْفَ تَحَقَّقْتَ أَنِّي أَحَبُّ وَأَنِّي أَرِيدُ  
وَفِي رَغْبَتِي لِلرَّيَاحِ مَقَرٌّ وَقَطْبٌ  
وَفَوْقَ لِسَانِي حَدِيدٌ؟  
أَتَفْهَمُنِي؟ لَوْنُ عَيْنِي شَمْسٌ تَوَجُّ  
وَلَوْنُ خَطَايَ جَلِيدٌ.

- ٥٤ -

أَطْعَمِ الْأَيَّامَ زَنْدَكَ ،  
تَكْبِرُ الْأَشْيَاءَ بَعْدَكَ .

- ٥٥ -

أعمقُ ما يفسرُ الأرضا  
حشرجةُ المرضى .

- ٥٦ -

أجيءُ مع الناس للكونِ حلماً  
وأذهبُ حلماً  
وحسبي ، أضيفُ لهذا الوجودِ  
صباحاً ، ورقّةَ جنّحين ، واسماً .

- ٥٧ -

هُودًا ، يرفض أن يرقى  
إلا حرقاً ،  
فيه نارٌ لا تخبو  
فيه القلبُ .

- ٥٨ -

نوافذُ من الدموع هاجرتُ  
وجبلٌ من الزنودِ غائرٌ  
يرصدهُ الهواءُ والصنوبرُ الحزينُ ، كلّ لحظةٍ .

وتينة عتيقة

جفونها من البكاء التصقت بساقها

والصمت سن إبر التسيج :

خاط كفن الطيور

صار جرساً من الحفر.

خيل لي كأنني

أسمع لغو طفلة تسمرت على السرير كُفها

وعلقت جفونها بخاطر تحسبه فراشة

أو كرة أو لعبة لم تلمح السماء مثل لونها.

خيل لي كأنني في سهر وفي سمر

أجلس مع سيدة تظنني حفيدها

تأسرنا بالقصص الغريب كل ليلة :

«جنية المياه في غلالة من الدجى

تبدولنا شرارة أو شبحاً

تحننا، تأخذنا لأرضها،

تلبسنا ثيابها الريحية، الخفية الخيوط.

وحارس القطيع في تلاله

تقتله الذئاب أو يقتلها.

والفارس الجميل في هجومه

يقضي على غريمه بلفتة  
ويخطف الحبيبة الحلوة من خباثتها .

خُيِّلَ لي كأنني  
أُسيكُ شعَرَ الزَّمنِ المسافر الذي عبُرَ  
أجدله أعيده نوافذاً  
وظفلةً صغيرةً وجدَّةً  
وأستعيدُ ما غبر .

- ٥٩ -

عِشْ ألقاً وابتكر قصيدةً وامضِ :  
زد سِعة الأرضِ .

(١٩٥٥ - ١٩٥٧)

- ١ -

حطام الفراغ على جبهتي  
يمدّ المدى ويُهَيِّلُ الترابا  
يُغْلِغِلُ في خطواتي ظلاماً  
ويمتدّ في ناظريّ سرايا .

هنا، عبرَ دربي، يموت ربيعٌ ويصفرّ ريفُ  
هنا، في عروقي، صدىٌ للجفاف ودمدمَةٌ وصريفُ  
هنا، في دمي يولد الخريفُ  
وفي حاضري يتمرأى،  
وتبعد عنيّ، تبعد شمس المصير، وتناى،  
ويخطو الخريف وينمو هوىٌ ويحنُ  
ويكبرُ: في خطوه حالمون،  
وفي صدره ساحرون وجنّ .

حطام الفراغ يَغيب نجمي ، يجمد أرضي  
ويترك بعضي كهوفاً لبعضي ،  
ويجعلنا كالفراغ .  
حطامُ الفراغ .

- ٢ -

وفي أرضنا شبحٌ يتمطى  
سراباً ورملاً  
ويملأ أعماقنا يباساً  
ويملؤها دُكْنَةً ومخللاً .  
وفي أرضنا مَلَلٌ يُبدع المقابرُ  
ويشرها ، عبرَ أيامنا ، أنيناً وعبرَ خُطانا ، مجازرُ .  
هنا المحقد ركزَ راياتِهِ  
وشرعها قِمةً وطريقاً  
يحطّ على توقنا صقيعاً  
ويضرمُ في حَبِّنا حريقاً .  
وللمحقد في شعبنا  
بلادٌ وشعبُ  
له ساحةٌ واصطخابٌ وحربُ  
يوسخُ أجواءنا



ويحفر أبناءنا  
كهوفَ ضلالٍ وقبحٍ ،  
ويصنع في وجههم كلَّ نجمٍ .  
ويخنق في جفنهـم كل صبح .

- ٣ -

نوافذ آيَامِنَا حُطِّمَتْ  
ولم يبقَ فيها ستارُ  
وفجر أساطيرنا مغلقُ  
يخيط أجفانه الغبارُ .  
وأطفالنا بهجةً تتمحى  
ومقبرةً وانتحابُ  
لهم تتلَهَّف حتى القبورُ  
لهم يتلَهَّف حتى الترابُ  
فأمس ، الفراغُ ، فراغ المضِيعَةِ ، ضيِّع أحلامهم  
وضيِّع آمالهم  
وأنبَتَ فيهم بذور المواتِ  
وأطفأَ فيهم ضياءَ الحياةِ  
وأمس فراغ المضِيعَةِ أحرَق بلداننا  
وخرَّب عمراننا

وبالأمس ، كان يجوب في شعبنا  
ويرذل ما عزّ من حبنا  
وكان يطوفُ عبر المدينة  
ويطرد منها السكينة  
وعاملها في يديه ، يشلُّ يديه . .  
ويسلبُ حتى جبينه  
ويمضي ، وخلف خطاهُ تئنُّ وتندبُ أبوابها الحزينه .

- ٤ -

فراغُ زمان بلادي فراغُ  
وتلك المقاهي  
وتلك الملاهي  
فراغُ  
وهذا الذي ذلَّ في أرضه وأنكرها واستكانا  
ولوّث أنهارنا وربانا ،  
فراغُ  
وذاك الذي ملَّ من شعبه  
ومن حبه  
وغمَّس باليأس أعماقه  
وأحداقه ،

فراغُ

وذاك الذي لا يرى غيره  
ولا يجد الخير خيراً، إذا لم يكن خيره،  
فراغُ فراغُ.

فراغُ يعششُ فيه الدمارُ  
ويسكنه الفاتحون التتارُ  
هنا، حرمٌ يُوطأ،  
هنا شرفٌ يصدأ  
هنا عالمٌ يهدُّ  
ويوقف عن سيره ويُردُّ.

لمن جيلنا يحرق البخور لمن يسجدُ  
وأَيَ إِلَهٍ تُرى يعبدُ؟  
لمن ينتمي ويشدّ يديه اعتداداً  
ويحيا له صيحةً وجهاداً؟  
لمن فصلَ اليوم ليلاً وشمساً  
وسوى له العمر آناً وأمسا،  
لمن يتربى، لمن يكبرُ؟  
تكاد، على عقمه، الآلهةُ  
تعاف قرابينه الوالِهةُ

وتركلهم واحداً واحداً  
وتكبر عنهم وتستكبرُ.

- ٥ -

فراغ فراغٌ . . ألا ثورةٌ  
تشيد لنا بيتنا  
وتُجري معاصرها زيتنا  
وتملأ بالحاصدين الحقولا  
وتملأ بالخلق، بالثورة العقولا؟  
ألا ثورةٌ في الصميم تُنشئنا من جديدٍ  
وتحققُ فينا هوانَ العبيدِ؟  
ألا ثورةٌ في الصميم تُبدعُ من أولِ  
حياة الغد المقبلِ  
وتفتح أجفان أبنائنا على الزمن الأجلِ  
على العالم الأفضلِ ،  
ألا ثورةٌ، ثورةٌ في الصميم تُبدعُ من أولِ؟

- ٦ -

أفي موطني يُولد الفراغ أفي عمره؟  
ونحن المليئون من فطرة الوجود ومن سرّه؟

بنا يفرح الزهر والماءُ  
يفرح حتى الحجرُ  
وتفرح في أرضنا الينابيع يفرح فيها الشجرُ  
فنحن ثراها ونحن شذاها  
ونحن تفتّحها المنتظر.

- ٧ -

بلى في بلادي أنا ثورةُ  
تُور أزهارها  
ويهدر إعصارها  
وفيها دمٌ نائرُ  
يُعمّر دنيا ويهدم دنيا  
على كبره تستفيق الحياةُ  
وفي دَفِّقه تتعالى وتحيا .  
بلى في بلادي أنا خالقونُ  
وساعُ كآفاقها الواسعه  
نقيون كالشمس في عُرْبها  
فتيئون كالأنجم الطالعه .  
يُحبون في أرضهم كلّ شيءٍ  
ولا ييأسون ولا يحقدونُ

ويبنون من جرحهم صرحها  
ويروون من دمهم صبحها  
ويستقطرون ويستخلصون  
هم المشرقون على أرضنا صباحاً أصيلاً  
هم الواقفون على مجدها الزمان الطويلاً  
بلى في بلادي أنا خالقون  
بنبض سرايبنهم عمروها  
محو عتمة اليأس واليائسين بأجفانهم  
بفرحتهم لامتلاك الوجود، بأحزانهم  
هنا دققوا دمهم في الزمان  
هنا اختصروا عمرهم في ثواني  
هنا ملأوا كل شيء يقينا

ولم يبق في شعبنا فراغ  
ولم يبق في أرضنا فراغ  
وها في بلادي، بلاد الفراغ، يموت الفراغ.

- ٨ -

بلى في بلادي لكل الزمان لكل المصير اكتناه  
وإن شوّهوه

وفيها لخلق لصيرورة الحياة إله  
وإن أنكروه  
سنملاً أيّامنا بالمحبّة، نشرع فيه النفوسَ دروباً وألويةً وبنوداً  
ونجعل من كبرنا اللهب ونجعل من حبنا الوقوداً  
وتفتح أجفانها الحقيقة  
على الطلّة الأصيلة فينا على الصيحة العميقة  
ويلقى الزمان الجديد طريقه

- ٩ -

صغار بلادي شموعٍ مضيئة  
صغار بلادي يغنوننا  
أغانيهم البريئة  
يقولون: «في أرضنا ثورةٌ  
تفجّر من أولِ  
حياة الغد المقبلِ  
وتفتح أجفاننا  
على الزمن الأجمَلِ» .  
يقولون: «في أرضنا  
يموت الذين أزاغوا وزاغوا  
يموت الفراغُ» .  
(دمشق، ١٩٥٤)

## العمل

للعمل  
شمر زُند الأملِ  
وانطلقا،  
يزرع في ساعدهِ  
يزرعُ فيه الأفقا.  
عمر في ضميره  
معمله ومصنعه  
وحقله وجنة  
في حقله مضيئه  
بالشوك بالدمع بنى  
مسكنه ورضعه  
كأنه من أول  
ينمو به ويكبر



في وعيه، في صدره  
مستقبلٌ يختمُ.

أصله الكفاح في الصخور  
من أول العصور  
فهو على امتدادها كالنسخِ، كالجدورِ.  
هَازِرُعُهُ، ينبت في جفونه ويورِفُ  
كأنه أجنحةٌ ترفرف.

وفي غدٍ على ضفاف حبه يطوف  
له السماء جبهةً وقامةً ومعطفُ.  
هَازِرُعُهُ، مثل فيه مسكته  
مثل فيه شعبه وموطنه.

حقوله المحروثة المخلدة  
له، لكل شعبه مجتده  
يلمح في نموها  
أجياله المخلده  
يلمح فيها بيته  
وناره وموقده  
وشمعةً راهبةً مبتهله  
ترقد عند رأسه

راعشةً مشتعله

وتهدأ

يُولد في رمادها

كفاحه ويبدأ .

في بيته جكاية طويلةً تنسردُ

يكمنُ فيها الأبدُ

يرغفها الرغيفُ ،

والمعجن النظيف

وهي وراء البيدرِ

تلَهْفُ ، وطفلة صغيرة لم تكبرِ

وهي أمام المصطبة

عباءة مقصّبه

شائخة مهذبّه

وهي ، على الحصير

والتخت والخوانِ

في لهيب المدفأه

زوبعةً مختبئه

تسكبُ قي الزمانِ

حرارة المصيرِ .

يا زنديا مشمرٌ  
يا ثورةً في أرضنا، في عمرنا تُفجّرُ  
يا عرقاً يندفقُ  
يغرق فيه الشفقُ  
مطرزاً بالحلمِ  
محملاً بالألمِ  
ويا دمًا تفحّما  
في السّاعد المشرّع  
وبرعما  
يا زنديا مشمرٌ  
يا ثورةً في أرضنا في عمرنا تُفجّرُ  
أنتَ لنا التجلّدُ  
والكبر والتمردُ  
أنتَ لنا الحياة والبناءُ  
والأرض والسماءُ  
يا لهب المجامر  
يا زنديا ممرّدُ  
أبدعْ لنا أرض الأملِ  
أرض العملِ

وارم علينا ظلها  
وظلها  
وغننا  
سقسقة الجداول  
وخلنا  
نكبر مع السنابل  
والتوت والنخيل  
والفجر والأصيل  
وخلنا  
نشرع زناد الأمل  
للعمل .

في الأرض في حقولها  
في صدرها المشقق  
في سرها المفتق  
نكشف عن نفوسنا  
وننتمي ونرتقي  
نبتسط فيها العمرا  
خمائلا وأنهرا .

يا عَمَلُ  
يا واضعاً حدودها  
يا مشرعاً بنودها  
قل نحنُ نحنُ العملُ  
نحيا له ونُجِبِلُ  
وقل على فؤوسنا  
ينتظمُ المكانُ  
وقل على زنودنا  
يبتدئُ الزَّمانُ .

## الفن

[مقاطع]

- ١ -

شُدُّ يا ثائرُ، يا عاصفُ، زَنَدَكَ  
فالأعالي تشتهي، تعشق بَنَدَكَ  
ما هو العالم بعدَكَ؟

هذه زلزلةٌ ترنو إليك  
نُشِئت تحت يديكا،  
فأثرها  
وأدرها  
وَلَيْكَ اللّاحِدَ حَدُّكَ .  
وسَّعَ الدنيا إذا شئتَ،  
وإن شئتَ اختصرها:  
جُمِعَ التاريخ عندَكَ .

لك غنيتُ حياتي  
لك رببتُ على الثورة ذاتي .  
كلَّ حرفٍ في نشيدي  
طينُ إنسانٍ جديدٍ  
يتغذى بك بالشمس العتيقة  
يتغذى بالحقيقة . . .

- ٣ -

يولد التاريخ في شمخة صدرٍ  
في انتفاضة  
ويلاقي في دجى الموت بياضة  
كلُّ فجرٍ .

- ٤ -

سرُّ معي يُحفرُّ على الأرض اليقينُ  
والحنينُ .  
سرُّ معي نفتحُ على المغلق بابا  
وكتابا .  
سرُّ معي تُشبكُ على الحلم الجفونُ  
ويكونُ  
كلُّ ما ليس يكونُ .

- ٥ -

في رواينا نداءاتُ تروُدُ  
موطناً بكَراً جديداً،  
إنَّ في التيه شريداً  
سيعودُ .

- ٦ -

حولك العالمُ تَعْبَانُ وفي عينيه ظُلمةُ  
لا يرى ، لا ينقش اللفتة في المغمض نجمه .  
وهو لا ينسجُ للصبح رداءةً  
وبهاءةً .  
لا تسلهُ  
رملهُ نشفَ نبعهُ  
وانتسلهُ ،  
تحرقُ العتمةُ شمعةً .

- ٧ -

عبرَ أيامك في المستقبلِ  
موعداً لم ينجل .  
لك فيه طفلةٌ ترضع ، كالثدي ، السنينا



وَتُسَوِّي لَكَ يَسْرَاهَا ، مِنْ الْحَبِّ ، يَمِينًا .  
لَكَ فِيهِ قَلْبٌ مَدَّ يَدَيْهِ  
وَطَوَى الْكُونَ إِلَيْهِ ،  
لَكَ فِيهِ قِصَّةٌ لَمْ تَكْمَلِ .  
قِصَّةُ الْمُسْتَقْبَلِ .

- ٨ -

زَنَدَكَ الْمَتَعَبُ يَجْرِي نَهْرًا ، يَرْفَعُ بَيْتًا  
وَهُوَ فِي قَنْدِيلِنَا الشَّاحِبِ يَسَاقُطُ زَيْتًا .  
هَآ هُنَا يَسْبِحُ غَيْمِهِ  
وَتَعَارِيشُ وَخَيْمِهِ  
أَنْتَ صَلَّيْتَ عَلَيْهَا وَانْحَنَيْتَ :  
زَنَدُ ، يَا مُتَعَبُ ، يَا خَالِقُ ، مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ ؟

- ٩ -

فِي سَوَادِ الْأَفْقِ  
تَتَهَاوَى صَاعِقَةٌ  
حُمَلَتْ بِالشَّفَقِ  
بِالْفُصُولِ الْعَاشِقَةِ

- ١٠ -

عندنا تنبتُ للصَّخرِ جفونُ  
وعيونُ  
عندنا يُنْسَجُ للغيمِ سريرُ  
وحصيرُ  
عندنا تشعر كالناسِ الجبالُ  
والتلالُ  
كلُّ شيءٍ عندنا يحملُ فأسَهُ  
ويُغِيرُ،  
ينتضي كالحممِ بأسَهُ  
ويسيرُ.  
كلُّ شيءٍ عندنا ينحتُ صدرَهُ  
بيديه  
ناغِهِ واحنُّ عليه  
يُكشَفُ المجهولِ عبرَهُ .

- ١١ -

كلُّ جرحٍ  
هو في آفاقنا طلَّةٌ صُبحٍ .

- ١٢ -

بُحَّ صَوْتُهُ  
هو كالشرنقة الصفراء، يحيا فيه موته .  
شاردٌ حَطَّ خطاهُ فوق زلَّة  
وهوى، إلا أقلَّه  
ليس يدري، أهو القبر، أم القبر سواه؟

- ١٣ -

يا أغاني في حناياها تمورُ  
وتثورُ . . .  
زَّئريه  
واغمريه ،  
واكتبي فوق ترابه  
بعض ما به ؛  
فهو الآن ، كما صوّر ، فحمة ،  
وغداً يطلع نجمه .

- ١٤ -

أين ذنبي ،  
حينما أوقظ للثورة قلبي

وأصلي للدواليه ، لريفه  
لخريفه ،  
وأنقيّه ، أنقي خفقاته  
من سباته  
من دياجير حياته . .  
أين ذنبي  
حينما أفتح للعالم قلبي؟

- ١٥ -

في بلادي تشرق الشمس المضيئه  
كالخطيئه .

- ١٦ -

أي نار  
لم تصلصل: «قلبه اللأهبُ جمري وأواري»  
أي فرقد  
لم يقل: «عيناه معبد» .

(صوت)

أنا، هذا الضحى لَمَمْتُ أبعائاتي  
وسويتها لشعبي عيدا -  
فليكن بعدي الضحى تقليدا .

## البعث والرماد

(قصيدة في أربعة أناشيد)



## ١. الحلم

أحلمُ أنْ في يديّ جمرةً  
آتيةً على جناحِ طائرٍ  
من أفقٍ مغامرٍ  
أشمّ فيها لهباً - قرطاجةَ العُصورِ  
ألمح فيها امرأةً  
يُقال صار شعرها سفينةً ؛  
ألمح فيها امرأةً - ذبيحةَ المصيرِ.

أحلمُ أنْ رثيَّ جمرةً  
يخطفني بخورها يطيرُ بي ليعلبكُ ،  
بَعَلْبِكَ مَذْبَحُ ،  
يُقال فيه طائرٌ مولءٌ بموتهِ  
وقيل باسمِ غديه الجديدِ باسمِ بعثه

يُحترقُ  
والشمسُ من حصادِه والأفقُ.



## ٢. نشيد الضربة

فينيقُ، إذ يحضنك اللهبُ أيَ أفقٍ تروده؟  
والزَّعْبُ الضائعُ كيف تهتدي لمثله؟  
وحينما يغمركَ الرمادُ، أيَ عالمٍ تحسهُ  
وما هو الثور الذي تريدهُ - اللونُ الذي تحبه؟  
وما تُعاني حينما تهمدُ كلَّ خلجة؟  
والسَّحْرُ الذي امتلكتَ شمسهُ الأميرة  
فينيقُ، ما يكونُ؟  
وما تكون الكِلْمَةُ الأخيرةُ - الإشارةُ الأخيرة؟

غُرْبَتِكَ التي تُميتُ، غُرْبَتِي  
غُرْبَتِكَ التي تُحبُّ، تنشي  
غُرْبَتِكَ التي تموتُ هَلعاً لغيرها  
غُرْبَتِكَ التي تموتُ وَلعاً بغيرها

غربتك التي تميمت، غربتي - لا أمّ فوق صدرك الموثق  
باختناقه

لا أبَ يُحييكَ حنوُّ قلبه .  
غربتك ، الوحيد فيها ، غربتي  
غربةٌ كلَّ خالقٍ يحترقُ  
يولّدُ فيه الأفقُ .

أغنيتي ، يقال عن أغنيتي ،  
غريبةٌ ،

ليس بها من الرّكام وترّ ولا صدى  
وجبهتي ، كما يقال ، مثلها غريبةٌ  
غربتك التي تُميمتُ غربتي

أزحمتُ عن وجودي الرّكام والفراغ والدّجى  
بلهفتي إلى السّوى - بحبيّ العظيم ؛ لا تزال خلفي البوابةُ  
الكبيرةُ السّلاسلُ - الفراغ والرّكام والدّجى ،  
ترصدني ، تُعلّقُ التفاتها بخطوتي .

مُسرّدٌ أحبُّ حتى المالمين جبهتي سلاسلًا  
ألكامنين في الدروب غيلةً  
مُسرّدٌ أحسنّي طفولةً  
أحسنّي أرفعُ بعلبكيّ العاشقةً ، الوالهة الحجارُ

أحترقُ،  
يكبر في الأفق - يولد في الأفقُ  
وحينما يستيقظ الصباحُ  
يطلع لي ، من أول ، جناحُ  
مثلك يا فينيقُ  
يا أيها الرفيق .

للموت ، يا فينيق ، في شبانا  
للموت في حياتنا  
منابع ، بيادرُ  
ليس رياحٌ وحادّةُ ،  
ولا صدى القبور في خطوره .  
وأمس ماتَ واحدُ  
خبا وعاد وهجهُ  
كان يُرى بحيرةً من كرزٍ  
حريقةً من الضياء ، موعداً .  
خبا وعاد وهجهُ  
من الرماد والدجى  
تأججاً .  
وها ، له أجنحةٌ بعدد الزهور في بلادنا

بعدد الأيام والسنين والحصى  
مثلك يا فينيقُ فاض جبهُ  
علا، أحسَّ جوعنا له، فماتَ - ماتَ باسطقاً  
جناحَهُ، محتضناً حتى الذي رمَّه.

مثلك يا فينيقُ  
يا حاضنَ الربيعِ واللَّهبِ  
يا طيرِي الوديعَ كالتعبِ،  
يا رائدَ الطريقِ.

### ٣- رماد عثقة

سمعتُ أنَّ عندنا  
سمعتُ أنَّ بيننا  
ثلاثةٌ من الركامِ يعشقون موتهم  
واحدُهم مغارةٌ  
والآخران صدأٌ :  
«رَبَاهُ، لو نموتُ، صار لحمنا  
شرائحاً من الحصى .  
رباه، لو نموت . كان عمرنا عبادةً  
فجدُّ لنا بدارك  
بأبديدوم في جوارك» .

ثلاثةٌ من الفراغ  
واحدٌ مغارةٌ

والآخِرانِ صَدَأُ :

«رَبَّاهُ، كَم تَزَلْزَلُ الْجِدَارُ فِي عِظَامِنَا  
وَانْطَفَأَ السَّرَاجُ وَالصَّبَّاحُ فِي عَيُونِنَا  
وَجَمَدتْ صَلَاتِنَا عَلَى اسْمِكَ الْقَدِيمِ  
وَنَسِيتُ قُلُوبِنَا اللَّذَائِدَ الْخَطَايَا  
أَمَلَةٌ بِوَعْدِكَ الْكَرِيمِ.»

ثَلَاثَةٌ مِنَ الرِّكَامِ، يَكْبُرُونَ كَالْحِصِيِّ  
وَكَالْحِصِيِّ يَفَكَّرُونَ، وَاحِدٌ مَغَارَةٌ  
وَالْآخِرَانِ صَدَأُ، صَدَى لَهَا:  
«يَا رَبِّ صَرْتُ آخِرًا:  
(مِفَاصِلِي مَسَامِرُ  
وَرَكِبَتَايَ خَشْبٌ).

رَبِّي هَيَّءْ مَوْضِعًا مَبَارَكًا لِعَبْدِكَ الدَّلِيلِ  
هَبْنِي مَقْعَدًا مَنَعَمًا أَكْوَابَهُ مِنْ ذَهَبٍ  
وَفِضَّةٍ، وَلِدَائِهِ مَخْلُدُونَ -

هَبْنِي الْخُلُودَ فِي جِوَارِكِ الْحَبِيبِ، يَا إِلَهِي.»  
ثَلَاثَةٌ مِنَ الْفَرَاعِ يَكْرَهُونَ عَمْرَهُمْ  
فَلِلْفَرَاعِ عِنْدَنَا

مِجَامِرُ كَبْعَلْبِكُ؛ لِلْفَرَاعِ نَارُهُ وَمَوْتُهُ وَبِعْثُهُ:

ما أروع الحريقَ، ما أجلُّه  
ما أعظم العراكَ، أيَ بطلٍ سينتهي  
لمن يكون الزمن الذي يجيءُ،  
والعراك هل يموت، هل يخفُّ، هل يظلُّ قائماً؟

عائشة جارتنا العجوز مثل قفص مُعلقٍ ،  
تؤمن بالركام والفراغ والطُّرُرُ  
وبالقضاء والقدرُ

أهداياها منازل النجوم ، كلَّ نجمةٍ خبرُ  
عائشة تقولُ إنَّ عمرنا سحابةٌ بلا مطرٍ  
تقول إنَّ الأرضُ أبشعُ الأكرُ  
صوِّرها الإله تحتَ عرشه  
ومن علِّ دحرجها

خطيئةٌ كأنها البشرُ:

«يا ويلَ، ويلَ من كفرُ

يا سعدُه من اعتبرُ» .

عائشة جارتنا تقيَّةُ ،

يحبُّها القريبُ والبعيدُ

والمدُنُ الكثيرة الشوارع المزِينات بالطُّرُرُ .

يحبُّها الحاضرُ في بلادنا، الكامنُ فيها ورماً

ولافتاتِ زينةٍ  
وقفصاً من الذبابِ أخضراً .  
عائشةُ جارتنا تقيّةُ ،  
حياتها جلودُ صوفٍ وخرافُ ورعٍ .  
وحكمةُ تعودُ بالأرضِ إلى سديمها  
تحتجز الحياة في تكيّةِ  
من ورقِ الرمالِ  
وطُحلبِ الليلي .  
عائشةُ جارتنا ، فينيقنا الجديدُ في حياتنا  
كبيرةُ فارعةُ القوامِ تأخذ البصرُ  
وتأخذ القلوبُ ، يا فينيق ، والفكرُ  
كأنها القمرُ .



## ٤. تهيئة البحث

فِينِيقُ، يا فِينِيقُ  
يا طائرَ الحنينِ والحريقِ  
يا ريشةً  
ساحبةً وراءها الظلامَ والبريقِ  
مُسافرُ خُطاكِ عُمُرِ زهرةٍ  
لِفَتِكَ انخِطافَةٌ وناظِرُكِ مِنْجَمٌ،  
مُسافرُ زمانِكَ الغدِّ الذي خَلَقْتَهُ  
زمانِكَ الغدِّ - الحضورُ السرمديُّ في الغدِّ  
لموعدٍ:

به تصيرُ خالِقاً، به تصيرُ طِينَةً  
تتحدُّ السماءُ فيكَ والثرى  
فِينِيقُ في طريقِكَ التفتْ لنا  
فِينِيقُ حُنَّ واثْتَدُّ

فِينِقُ مُتْ، فِينِقُ مُتْ  
فِينِقُ، وَلْتَبْدَأْ بِكَ الْحَرَائِقُ  
لِتَبْدَأَ الشَّقَائِقُ  
لِتَبْدَأَ الْحَيَاةُ  
فِينِقُ، يَا رَمَادُ، يَا صَلَاةُ.

نِيرَانُنَا جَامِحَةَ الْأَوَارِكِي يُوَلِّدَ فِينَا بَطْلُ  
مَدِينَةٍ جَدِيدَةٍ  
نِيرَانُنَا الْخَفِيَّةَ الْحُدُودِ فِي جَذُورِنَا  
تَمَجِّدُ الْهَيْئَةَ الَّتِي بِهَا  
يَحْتَرِقُ الْعَالَمُ كِي يَصِيرَ عَالَمًا مِثْلَ  
اسْمِكَ - الرَّمَادِ وَالتَّجَدُّدِ  
مِثْلَ اسْمِكَ - الْحَيَاةِ وَالْمَحَبَّةِ الَّتِي تَمُوتُ فَدِيَّةً،  
تَحْرِقُنَا، تَرْبِطُنَا بِرَيْشِكَ الْمُرْمَدِ  
لِنَهْتَدِي .

فِينِقُ، أَنْتَ مِنْ يَرَى ظِلَامَنَا  
يَحْسُ كَيْفَ نَمَحِي  
فِينِقُ مُتْ فَدَى لَنَا  
فِينِقُ وَلْتَبْدَأْ بِكَ الْحَرَائِقُ  
لِتَبْدَأَ الشَّقَائِقُ

لتبدأ الحياةُ ،  
يا أنت ، يا رمادُ يا صلاةُ .

فينيقُ ، يا فينيقُ  
في معزلٍ عن الفراغ واليباب والدجى  
عن السّوى ،  
أرى إليك تجمع الزمان - هذا الحطب الحلوبَ  
مثل منبعٍ  
ترفعه حريقةً

أرى إلى جناحك انتشى ، علا ، هوى  
أرى إليك في اللهب غارقاً  
في معزلٍ عن الرمال واليباب والدجى  
أرى إليك لهباً ، أرى إليك جمرة غريبةً  
أليفةً ضاحكةً إلى الضّحي  
في عزلةٍ عن الركام واليباب والدجى  
أرى أرى رمادك  
كأنه استعادك  
كأنه أعادك .

فينيقُ خلٌ بصري عليك ، خلٌ بصري :  
المحُ خلال نارك الغيب الذي يختبئ - الذي

يلفَ جُرْحَنَا ،  
والمح الركام والرمال والدجى  
والله في قماطهِ ، الله الذي تلبسه أيامنا  
حرائقاً وُغُصصاً وجُدراً  
تلبسه ولا تُرى .

وافرحا . . .

«سيدتي ، يا كتفَ الاسمنت ، يا خواصر الحديد ، يا تكيّة  
تهدمتْ ، ولا تزال حيّة عامرة .  
سيدتي أنا اسمي التجددُ  
أنا اسمي الغدُ  
الغدُ الذي يقتربُ - الغد الذي يتعدُّ .  
في مهجتي حريقةٌ ذبيحةٌ  
فينيقُ سرّ مهجتي  
وُحد بي ، وباسمِهِ عرفتَ شكلَ حاضري  
وباسمِهِ أعيشُ نار حاضري ،  
سيدتي العجوز لستُ شاعراً  
بالخطر الذي ترين ، ها يدي مليئةٌ بلحمها  
هادرةٌ بدمها  
وها أنا أسيرُ ، دائماً أسيرُ ، خطوتي

تجَبَّني، وقدمي عاشقَةً عُبارَها، نافضةً غبارها  
ولا أزال شاعراً بِقُوتِي  
صدرِي فِي علْوِهِ،  
وجبهتي كأرزوةٍ .

وافرحا . . .

«يُفْتَحُ صدر عالم أهدابه المحبَّةُ  
البساطةُ، الغدُّ الذي لا تضمّر الشمس احتمالَ مثلهِ .  
تحضننا الألوهُةُ الرائمةُ التي تحسّ مثلنا - التي تحسّ معنا» .  
فينيقُ خلَّ بصري عليك، خلَّ بصري،  
فينيقُ مُتٌ، فينيقُ مُتٌ  
فينيقُ، تلك لحظة انبعاثك الجديد:  
صار شَبهُ الرمادِ، صار شرراً  
والغابرُ استفاق من سباته  
ودبَّ في حضورنا:  
«البطل استدار صوب خصمه  
للوحشِ ألفُ خنجري  
أنيابه مطاحنُ  
والظفرُ السنينُ سُمُّ حَيَّةٍ .  
والبطلُ القويُّ مثلُ حملٍ»

تَمَوَّزُ مِثْلُ حَمَلٍ - مع الربيع طافراً  
مع الزهور والحقول والجداولِ  
النَّجْمِيَّةِ العاشقة المياهِ،  
تموز نهرُ شررٍ تغوص في قرارهِ  
السماءُ. تموزُ عُصْنُ كَرْمَةٍ  
تُخبِثُه الطيور في أعشاشِها،  
تموزُ كالإلهِ.

البطل استدار صوب خصمه  
تموز يستدير نحو خصمه :  
أحشاؤه نابعة شقائقاً  
ووجهه غمامٌ، حدائق من المطر.  
ودمه، ها دمه جرى  
سواقياً صغيرةً تجمعت وكبرتُ  
وأصبحتُ نهرُ  
ولا يزال جارياً - ليس بعيداً من هنا -  
أحمرَ يخطف البصرُ.  
واندثر الوحشُ وظلَّ خصمه الإلهُ  
ظلَّ معنا شقائقاً  
جداولاً من الزهرُ

وظلَّ في النَّهرِ .

ألْبطلُ اهتدى ، مضى لموتِه  
لا ، لن أرى جبينه الغريقَ في غيومِه  
الغريقَ في بذوره  
ولن أخيطُ صدرَه ببؤبؤي  
لا ، لن أراه مطراً وجُثَّةً من الرياحِ  
مطراً وجُثَّةً من الحقولِ والحصادِ  
لن أرى صوَانَةَ الحياةِ في رمادهِ  
ففي غدٍ أرى إليه صورةً جديدةً في بطلٍ يُحبُه  
وفي غدٍ أسمعُه أغنيةً حزينة مفرحةً .

فينيقُ ، تلك لحظةُ انبعاثك الجديدِ ؛  
صار شبهُ الرمادِ صار شرراً ولهباً كواكبياً  
والربيعُ دبَّ في الجذورِ ، في الثرى ،  
أزاح رملَ أمسنا - العجوزَ والثلاثة :  
الركامِ والفراغِ والدُّجى ،  
فينيقُ خلَّ جهتي أسيرةً لَدَيْكَ في عُلُوكَ البعيدِ عن جفوننا ،  
البعيدِ عن أكفنا  
وخلَّني لمرَّةٍ أخيرةً ، الامس الترابَ في جناحك الرَّميمِ -  
خلَّني

لمرةً أخيرةً  
 أحلمُ أن رثيَّ جمرَةً  
 آتيةً على جناح طائرٍ  
 من أفقٍ مغامرٍ،  
 وخلّني أشمُّ فيها اللهب الهياكليّ، - ربّما ليصوّر فيها سيمَةً  
 وربّما تجسدت قرطاجَةً:  
 دقائقُ الغبار فيها لهبٌ  
 وخلّني لمرةً أخيرةً  
 أحلمُ أن رثيَّ جمرَةً  
 يأخذني بخورُها، يطيرُ بي؛  
 وخلّني لمرةً أخيرةً:  
 ها ركبتني حنيتُها  
 وها جلست خاشعاً  
 فخلّني لمرةً أخيرةً أحلمُ يا فينيقُ  
 أحتضن الحريقُ  
 أغيب في الحريقُ  
 فينيقُ، يا فينيقُ  
 يا رائدَ الطريقُ.

(بيروت، ١٠ / ٥ / ٥٧)



## مجنون بين الموتى

[مأساة في أربعة مشاهد]

(يصور هذا العمل عالم جندي خرج من الحرب، وقد أصيب بحلل عقلي وتشوّه في آن معاً. فهو يتخيل دائماً أنه يتحدث مع أصوات الذين رأهم، بملء عينيه، يقتلون حوله: ذلك انقلقت جبهته، وهذا تفرّزت أحشاؤه، والآخر يحشرج، وغيره فتتّ نثرة، نثرة).

### الأشخاص

الجندي المجنون المشوه، أصوات، الصدى.



## المشهد الأول

### الجندي، الصدى

[الليل هاديء، صافٍ. يشرف الجندي، في وقفته، قريباً  
من بيته المنعزل في طرف القرية، على وادٍ سحيق].  
الجندي: (يعني وهو يربط خيط حذائه العسكري الذي بقي معه لسبب  
ما).

تنهض بي وترتمي  
مطرقةً من الدم  
كأنما طنينها  
يجبسنني في قمقم

الصدى: م... مي... م...

الجندي: (لم ينته من ربط حذائه)  
بي الروابي تُمهّد  
بي الزمان يُحصّد  
خرافة الحياة

والبدء والممات  
مرسومةً بشكلي  
محفورة بذاتي .

الصدى : تي . . . تي . . .

الجندي : (متابعاً غناه) .

كنتُ وما برحتُ  
شيئاً من الكفاحِ  
والياس والجراحِ  
لومت لا سترحتُ .

الصدى : ت . . . ت . . .

الجندي : (يجلس وهو يغني)

لأيّ جمالٍ وحبٍّ وخيرٍ  
أحارب غيري؟  
لأيّ قضيةٍ

أوسّخ بالحقد، فيّ، عروقي وكلّ شعوري  
وكلّ خليّة؟

(يتوقف لحظة ثم يتابع)

للاشيء أصبغ بالأفك عيني،  
وجبهة أرضي

وأخفق نبضي ،  
وأفصل بين الوجود وبينني .

الصدى : نبي . . . نبي . . .  
الجندي : ( يتابع غناه وهو يفك من جديد سيور حذائه ) .  
خَرَسُ الأَصْدَاءِ فِي سَمْعِي نَفْوَةً  
أَنْنِي صَرْتُ مَشْوَةً  
يَضْمُرُ الْمَمَكُنُ فِي نَفْسِي وَالشَّكْلَ الصَّحِيحُ  
كَلَّ مَا شَتَّ سَرَابٌ كَلَّ مَا جَمَعَتْ رِيحُ .  
( ينهض ، ثم يتابع بشيء من الرعدة )  
فِي عَرُوقِي قَلْتُ  
فِي جَفُونِي أَرْقُ  
وَلَكُمُ أَكْرَهُ فِي الْقَلْقَا  
وَالْأَرْقَا  
وَنَجُومَ اللَّيْلِ ، وَاللَّيْلَ وَهَذَا الْأَفْقَا .  
الصدى : ( ويسمع طويلاً حاداً )  
قا . . . قا . . .

## المشهد الثاني

### أصوات، الجندي، الصدى

(يتمدد الجندي على العشب، كأنه يريد أن ينام، يزداد  
لمعان النجوم تألقاً، تبدو للهدوء الشامل أغوار أخرى).

صوت : يا عابر الطريق

مُرَّ على شقيقي

وابحثْ خلال بيتي

عن كفنٍ لميتٍ :

عباءة طُرزتها بقصب العقيقِ

يا عابر الطريق

الصدى : ق . . . قى . . .

صوت آخر : يا أيها الخيالُ

عنيَ ما يقالُ؟

مَن مات ، مَن تبقى؟

من سادَ واسترقأ؟

بعدي ، بعد موتي ما قيل؟ ما يُقال؟

هل بطل السؤالُ

هل أمكن المحالُّ؟

يا أيها الخيالُ

الصدى: قا... ما... لو... لو... لو...

صوت آخر: كان في جيبي الصغير قصيدته

كتبها مفاصلي وشرائبي وأودعتها الحياة

الجديده

كيف صارت؟ وأين؟ أشعر أنني غائبٌ، همَّ

ضوءها أن يُعيدَه.

الصدى: (لا يسمع)

صوت آخر: أسمع همس طفلٍ غمَّس بالدموع

يلعبُ في ضلوعي،

أحسَّه أمامي - ضرعاً من الضروع،

يطفر في الروابي يضيع في الزروع.

الصدى: عي... عي... عي...

الجندي: (يتنفض مدعوراً، يلتفت يمنة ويسرة، ويحلق أمامه).

ماذا يُريد الصدى مِنِّي... ماذا يُريد؟

وفي من رَجَعَهُ أَلْفُ فَمٍ أو يَزِيدُ . .

(يتابع محققاً، يدها خشبتان، وصدرة مغارة).

ما العارُ، ما الغارُ؟

ما الفرقُ، في موتي، إن ضمَّني

نَبْعُ، أو اجسَّتي النَّارُ؟

وجودنا محض سديمية

ونحن في السديم أقدارُ

ليس مع الموت جديدُ يرى

وليس في الحياة أسرارُ.

الصدى : (أقوى هذه المرة، وأكثر حدة)

رؤ . . . رؤ . . . رؤ . . .

[ينهض الجندي، سيور حذائه محلولة، حاسر

الرأس . . . يده اليمنى تتحرك كأنها قطعة واحدة معلقة

بمسمار في حائط كتفه واليسرى كأنها تحتضن خاصرته].



## أصوات، الجندي، الصدى

[لا يزال الجندي واقفاً. يجلس قريباً من مكانه الأول. في هذه اللحظة يسقط شهاب من السماء، ويعكر الهدوء الشامل عواء ابن آوى. هاتان الحادثتان تثيران فيه، كما يبدو، مشاعر مبهمه غريبة تنطق بها قسماات وجهه. يعاود تمدهه، ويود لو ينام].

صوت: عِشْ لِلْحِظَّةِ

واقْتَحِمْهَا

واغْتَنِمْهَا

كُلْ شَيْءَ، بَعْدَهَا، وَهَمْ وَلَفْظُهُ.

الصدى: (لا يسمع)

صوت آخر: قُلْ لَطْفِي

أن يرى العالم والأشياء مثلي.

الصدى: (لا يكاد يسمع) ل... .

صوت آخر: سوّ صدري وبقايا اللحم فيه وصلية  
أغنياتٍ للحبيبه .

الصدى : ( لا يسمع )

صوت آخر: أكره الناس كأهم أكره الحياة  
أيّ شيء يخافه من تخطأهم ، ومات؟

الصدى : يا . . . حات . . .

صوت آخر: كنتُ أحيأ كالغرابِ البرصِ  
نثرةً في قفصِ .

الصدى : ص . . . صي . . .

صوت آخر: كحذائي

يبرق العالم شمسيّ الرّواءِ  
وكوجهي كلّ كنه .

الصدى : ني . . . هي . . .

صوت آخر: عند جيبي .

تنتهي الدنيا ويبدو كلُّ غيب .

الصدى : ب . . . بي . . .

الجندي : ( وكأنه يتحدث بلا وعيه )

من أنا . . . أيَّ عُصافَه

تخذت شكل خرافه؟

الجندي : (متابعاً وكأنه لم يسمع شيئاً)

كالحجره

لا أشعرُ

لا أقدرُ

جُسدُ عمري في حذاءِ هريءٍ، في مطرة .

صوت : (يصعد قوياً، حاداً)

قم انهض

واهرب من الموت وشمراً واركض .

الجندي : (ينتفض، ويجلس، قدماه ممدودتان، ودلائل الخبل على

وجهه).

يا . . . كيف، كيف أنهضُ

والموت في مفاصلي

في داخلي

يفتح عينيه على تشوّهي، ويغمضُ.

(يتوقف برهة، ثم يقول متابعاً):

في جسدي ثقلُ الزمن

ثقل الخراب والدمن

في جسدي يدُ الكفنُ

يدُ العَفَنُ .

(بعد فترة وجيزة، وبلا مبالاة)

فيه الكيانُ المحضُ واللاكيانُ

كالموج، في الصراع، لا يهدآن

لا الأمس من عُمري ولا أيَّ آنُ .

## المشهد الرابع

### الجندي، الأصوات، الصدى

[ينهض الجندي، ويتمشى بخطوات وثيدة في منحدر  
الوادي، حاسر الرأس، ولا تزال سيور حذائه محلولة].

الجندي : (متمتماً) ما المصيرُ؟

صوت : (عميقاً، مديداً، يبدو كأنه صدى).

شَلَلٌ، طَرْحٌ . . . يطيرُ.

الجندي : (وهو يضرب الحصى بقدمه اليمنى)

ما الآلَةُ؟

الصوت والصدى معاً : كلّ ما كانَ سواهُ.

الجندي : (متطلعاً إلى فوق) :

ما المغيَّبُ؟

الصوت والصدى معاً : حاضرٌ بالظنِّ، بالخوفِ يُطَيَّبُ.

الجندي : (غاضباً بصره) ما البدايَةُ؟

الصوت والصدى معاً: كلّ ما صار نهايةً.

الجندي: (وهو يضغط على جبينه بأصابع يده اليسرى، ويده اليمنى في جبينه).

ما الحقيقة؟

الصوت، فقط: شرطيّ شقّ بالسوط، طريقه.

الجندي: (ملتفتاً وراءه، نحو بيته)

ما الزمان؟

الصوت والصدى معاً: ضفدعٌ تقّ، ورملٌ ودخانٌ

الجندي: (متوقفاً عن سيره الوثيد)

ما الحياة؟

الصوت والصدى معاً: سيربُ أطفالٍ صغارٍ.

عمّروا كوخاً من العشب وماتوا.

[يحاول الجندي أن يتابع سيره، فيعثر، ويسقط، ويتدحرج على المنحدر... في هذه اللحظة، يختلط كل شيء، الأصوات والأصداًء وصوت الجندي وصوت تدحرجه... ويبدو العالم كأنه عاد إلى السديم]

(القنيطرة، ٢ / ٢ / ١٩٥٦)

## السديم

[مأساة في ثلاثة أدوار]

إلى مرجانيين العالم

[تعبّر هذه المأساة عن مرحلة نفسية عشتها . حين كتبتها  
كنت أجلس ، فعلاً ، في غرفة صغيرة مع ثلاثة مجانين ، وكنت  
أشعر أن العالم يبدو لي من خلالهم) .

الحياة قصة يرويها أبله .

شكبير

يمكن للحقيقي أحياناً، ألا يشابه الحق .

بوالو

من المعقول أن تحدث أشياء كثيرة ضد المعقول .

أغاتون



الأشخاص

## المجنون الأول، المجنون الثاني، المجنون الثالث

### الدور الأول

[المكان غرفة صغيرة، جدرانها تراب مدهون بالأصفر والأزرق، سقفها أشبه بيت عنكبوت، خيوطه من الخشب، فيها أربع طاقات، ثلاث منها مغلقة - والأصح مسدودة - . تكسوها حصر التصقت بصحتها، ننته ترشح بالموت، يقبع في احدى زواياها ثلاثة أشخاص : رأس الأول مخلوق يلمع كالزيت، شبه عار يلبس قميصاً بنصفي كم، فتح على صدره فتحة دائرية واسعة، في يديه خرق أخرى، يعاينها ويتفحصها ويقول إنه يصطاد منها «ذئب النوم»، ويعني القمل .

يتكىء الثاني إلى الجدار، يلتحف بغطاء أسود ممزق، على رأسه شملة معقودة حول عنقه . مثبتة بحزام أحمر عقدة عقدة ذات شعبتين، تسترسل فوق جبهته وتلطم حاجبيه وجفونه أحياناً .

ويحضن الثالث مِرْقَة جريدة علق بها شيء من السكر  
يلحسها بحركة من لسانه، معتوهة، له لحية طويلة يختلط  
فيها البياض والسواد بشكل يبدو أخاذاً .

الثلاثة غارقون في حديث مبهم يبدو أنه لا ينتهي، رغم  
أنه ليس في ملامحهم ما يدل على أنهم فعلاً غارقون في  
مثل هذا الحديث . كانوا أشبه بجزيرة منعزلة بين  
الأشخاص الآخرين في الغرفة الصغيرة التي تتموج بهم] .

المجنون الأول : في داخلي تتكوّنُ

أشياء هذا العالم .

وبأضلعي تتلَوّنُ

وبخاتمي :

هي كالمآسي، بالخديعة والضلال  
تُهَوّنُ .

المجنون الثاني : (دون أن يبدو أنه يشارك الأول في حديثه)

ماذا؟ أليس عن القدرُ

نسخَ البشرُ

سِفْرَ الوقائع والمصيرِ

وتفكروا

وتبصّروا :

فهنا الحقيقةُ كالتُّفاضة لوّثت طرف

الحصير

وهنا الضحى يتحلزَنُ

فوضى : صباحُ لا يرى وألوهةُ تتوثَنُ .

المجنون الثالث : (بلهجة صوفية وكأنه أدرك ما قيل)

يا شمسُ لونكِ حائلُ

يا أرضُ أسكِ مائلُ :

للصخر أردادُ تُهزُّ وللترابِ جدائلُ .

المجنون الأول : (بسرعة) ماذا تقولُ؟

المجنون الثالث : حبلت بقاتلها العقولُ .

[تخييم فترة من الصمت الغيبي يعكّر هدوءه

المجنون الثاني، وهو يلكز المجنون الثالث

قائلاً].

المجنون الثاني : حَلَقُ، جدارُ الغرفة السوداء

المجنون الثالث : (ببلاهة) ماذا؟

المجنون الثاني : ينطقُ

في مقلتيه زئبقُ

يتلو صحائف قلبه ويعيدها ويمزقُ .

حَلَقُ، أراه يُحَلَقُ .

المجنون الثالث : (يلتفت فتقع عينه على ثقب في الجدار)

ذاك ثقبُ

عبره تنشب حربُ.

المجنون الأول : (وهو يلتفت إلى الجدار ويحدق فيه)

تلك فُتْحَه

عندها خبأ ليل العمر صُبْحَه .

والزوايا

هي للموت مرايا .

المجنون الثاني : (بيرودة) للجدارِ

عنتُ لفَ بغارِ

وشرارِ

سطحه كأسٌ وخمرٌ وثناياه جوارِي .

(يلتفت إلى المجنون الصامت ويتابع)

لبس الحائط خُفَّهُ

مدَّ كَفَّهُ

وعلى العالم سلَّمْ

(يتابع مقهقها)

يا . . . تكَلِّمْ .

## الدور الثاني

[المكان ذاته . المجنون الأول يجلس القرفصاءه يده اليسرى تلعب فوق ركبتيه . عيناه ضائعتان . يده اليمنى تحك تارة صدره وتارة رأسه . يجلس الثاني ويده اليمنى تسند ذقنه، واليسرى لا مكان ثابت لها . أما الثالث فعيناه إلى الأرض].

المجنون الثالث : (يسمع وقع أقدام) ما الناسُ ، ما سوانا؟

المجنون الأول : (بلهفة) دودٌ على خطانا

ومنخرا ذبابه ،

ملساء كالسحابه .

المجنون الثالث : (بسرعة) وحُفَرٌ مليئه

بالقيءِ والخطيئه .

## الدور الثالث

[المجانين الثلاثة يتضحكون ويتهايمسون بحركة لا  
تفتر. قام الأول وخطا بضع خطوات، ثم عاد وجلس.  
وتمدد الثاني وهو يتأب. ثم رجع إلى وضعه الأول.  
والثالث يفرك يديه].

المجنون الثالث : (مشيراً إلى تزاويق على الجدار)

في مدى هذي الحديقة  
ألفُ بحرٍ وحريقه

المجنون الأول : (بشيء من الحدة) لم تقل أنت الحقيقة

هذه خيطان سحرٍ فزحيات رقيقه  
صاغت السلم طيرا  
وبياض الكلس ديرا .

المجنون الثاني : (متطلعاً من الطاقة المفتوحة، مشيراً إلى ما يبدو  
منها، من الفضاء) .

أيّ شيء هو هذا  
ولماذا؟

المجنون الثالث : (بتعلل الشيخوخة)

هو بحرٌ من هواءٍ صيغٍ للشمس مَلَاذا،  
وهو للعميان مرسمٌ  
ولجرحِ الموتِ بلسمٌ .

المجنون الأول : والطيورُ

أُكْرَفِيه تَدورُ .

المجنون الثالث : (يُفاجأ بفراشة تدخل من الطاقة، فيصيح)

ها فراشهُ،

بجناحيها كَسَا الأفقُ فِرَاشَهُ .

المجنون الأول : (يظن أن الفراشة سنونو، فيصيح وكأنه لم يسمع

ما قاله المجنون الثالث).

ها، سنونو

آه لو أني كالطير أكونُ

آو، لو أني حمامه

أو غمامه .

يصمت الثلاثة فترة قصيرة ثم يفاجئهم

المجنون الثالث قائلاً وهو يشير إلى جملة  
الأشياء، حوالهم].

المجنون الثالث: هذه الأشياء سوداء غريبة  
المجنون الثاني: (بلهجة مكتشفة)

هي لم تكتب على لوح الخرافات العجيبه  
لم تُبين.

المجنون الثالث: هي في الخلق سديمٌ بعده لم يتعين.  
(يصمت ثم يتابع، وكأنه يضرب أمثلة)

ألروابي  
صلواتٌ وخوابي .  
والجدارُ  
قفصٌ يبكي ونارُ.

المجنون الأول: (مقلداً لهجة المجنون الثالث)

والحصاةُ  
شهدُ نحلٍ لا يُسمى  
قطرت منه الحياةُ  
هي في النشأة أفعى  
وهي في الرجعى صلاة .  
والمأذنُ .



المجنون الثالث : (مقاطعاً) هي للصوت مخازن .

(يصمت، ثم يتابع بلهجة الحكيم)  
كلَّ عُرْفِ .

محض إشكالٍ وخُلفٍ .

المجنون الثاني : (بلهجة الحكيم أيضاً) والعالم اختلاطُ

وحجرٌ يخاطُ

وموجة تهندسُ

وهو، أو أن يُدرَسُ

كتابةً منبهمه

تُزري بكلِّ ترجمه .

المجنون الأول : (بشيء من العبوس)

من محال الكون أن تمحو

في الكون الخطيئة

فهي للخلق بناءُ

ورداءُ

وهي بالحق مليئة .

المجنون الثالث : (بفرح ممزوج بالحزن)

ومن الباطل أن تُقَصَى عن الباطل أرضُ

فهو في العالم قَرَضُ .

سائي : (بنبرة موافقة)

نظَّفِ الأَرْضَ من الشرِّ، فلن تلمحَ خيراً  
واحذفِ الأفقَ يصرُّ كلَّ ديبٍ فيه طيراً .

المجنون الأول : (بابتسامة خفيفة)

لتكونا

لتصير الجوهَرَ العالِي على كلِّ حياةٍ

ومماتِ ،

عدُّ سكونا

صيرُ تُرابا

أو كِتَابا .

(تمر فترة صمت ، يضحك المجنون الثالث

فجاءة ، وهو يقول)

أَلَقُ النَّهَارَ وسادَةٌ

وبداية الليل امرأة

والموتُ أولُ شاعِرٍ

تخذُ النَّهَايةَ مبدأه .

[تسيطر على الثلاثة بالعدوى ، أو بغيرها ،

نوبة كبيرة من الضحك ، فيرقصون ويغنون].

ليس في العالمِ إِبْكانٌ للغزيرِ

أول رمز

فلقد يختبيء العالم في كسرة خُبز.

(القبطرة، السجن العسكري، أواخر آذار،

١٩٥٦)

## قصيدة إلى الغريبة

أسألُ ماذا أكتبُ  
لزوجتي الغريبة - العاشقة الصَّغيرة  
وورقي، إذا حضرتُ، يهربُ  
وريشتي في طَرفِ الجزيره  
حمامةٌ تلتهبُ.  
أسألُ ماذا أكتبُ؟  
غريبةٌ  
أجفائها سلالِمٌ وجُدُرٌ  
غريبةٌ لأنها تحبُّ غيرَ نفسها  
لأنها تحيا لجارٍ بائسٍ  
لطفلةٍ شريدةٍ،  
لأنها، الأعمى تقود خطوهُ  
تفرشُ عينيها لهُ

غريبةٌ لأنها تبدلُ كلَ مقصله  
بسنبله .

لأنها تحترقُ  
لكي تجيء الطُّرُقُ .

أعرف أن حلمها يطولُ  
أعرف أن شعرها يطولُ  
أعرف أن سرها يطولُ  
أعرفها . . .

تختصرُ الأرضُ بخطوتين  
تختصرُ الكونَ بلفتين .  
أعرف أن بيتها ينتظرُ  
ويسهرُ

وأنه التجربةُ الصَّميمةُ  
الطَّالعةُ، الآن، غدا  
وأنه الحب الذي يبتكر  
ويسهرُ

أسألُ ماذا أنشدُ

لزوجتي، لهذه الوالهة الخالقة الحبَّ على مثاليها،

أسأل ماذا أنشدُ  
والحرفُ كم يُقَيِّدُ  
كم يجهلُ الشعورَ في المفاصلِ المرهقةِ المرهقةِ  
التي ترى ما لا يرى، التي  
تدلُّ الصُّبحُ كيف يُشرقُ  
والشيءُ كيف ينطقُ  
أسأل ماذا أنشدُ  
لزوجتي لغدها المناضلِ  
والحرفُ كم يُقَيِّدُ  
كم يجهلُ الشعورَ في المفاصلِ .

لها، هُنا النواذ، الوسادةُ الكتابُ والمجامرُ العتيقةُ الراسمةُ  
الأفقُ بقوسِ قزَحِ  
بالفرحِ ،  
تنتظرُ  
وتسهرُ  
مثلي، مثل بيتها تنتظرُ  
وتسهرُ .

(بيروت / ٤ / ١٢ / ١٩٥٦)

## من الذاكرة

- ١ -

... كم نفضنا عن أغانينا الكآبه  
وملأنا الأفق أجفاناً، وصيحناً: يا سحابه  
أمطرينا،  
نحن ذاك الموسم المنتظر  
والزهر،  
غافلينا،  
وافتحى قُربتك الملقى وصبيها علينا  
يا سحابه  
يا التي جاءت من البحر إلينا .

- ٢ -

... في النهار جريئنا

كالقصباتُ  
صيرنا حبيباً، صيرنا ماءً وتحفينا  
في أحضان الجنياتِ .  
... في الأعيادِ  
أشعلنا الشمعَ وصلينا  
وتمنينا  
فرأينا الله بلا ميعادِ .



## كلمات اليبس

حين يُواخي صمتها المنزل:  
لا عشب، لا قُبْرَة، لا ندى،  
تفتح أهدابها  
تفتح شبّاكها  
للشمس . . . لكن، قبلها، تدخل  
فراشة محروقة أو صدى

## الأطفال

في غبار الصَّلواتُ  
غرق الفجر وماتُ  
لكنَّ الأطفالُ  
نبعٌ يحمل وجه الشمس  
من أمواج الأمسُ  
في شلالٍ .

اللوحه الأولى

عند بيتنا يطلع النهارُ  
وجهه طابئةً في يد الصغار

وفي شفاه المدينة  
جرسٌ للعويلُ  
من ثلاثين جيلُ :  
- «منسَمي عمنا

الليّ بياخذ أمنا» .  
- - «بس الحالة ما بتتطاق . . .» .  
- «يا لله . . . الدهر دولاب» .  
ضاع وجه المدينة  
في فراغٍ ذليلٍ .  
وبكاء الأطفال  
يفتح باب الفجر  
وبكاء الأطفال  
مطر الأرضِ وقودُ العمرِ .

#### اللوحه الثانيه

لو جرحنا الصلوات  
وغسلنا بدماء الكلمات  
فجر الأطفال ،  
لو كفرنا  
ودفنا الماضي في سِرِّ وال  
باسم الأطفال .  
في القدم الحافية الصغيرة  
خمس مسامير ورقصتان  
والدربُ شبّاكٌ على جزيره

حدودها الجراح والأغاني .

والشَّارِعُ يَوْمٌ لَا يَحْيَا

إِلَّا نَعَشًا أَوْ وَحْيًا :

- «الله الحيّ الباقي . . .»

- «عفوك عفوك يا الله» .

والكفن الأبيض في الطَّرِيقِ

والكفن الأبيض في التراب

والكفن الأبيض كالغراب .

يا ليت . . . لو نفيقاً

لو جَرَحْنَا الصَّلَوَاتِ

وَوَغَسَلْنَا بِدَمَاءِ الْكَلِمَاتِ

فَجَرَّ الْأَطْفَالَ .

سبعين جيلاً نطمس الطريق

نركض في سواه

- «ما البيتُ، ما الجباه؟»

- «كهفانٍ من وحلٍ ومن صقيع» .

لكنَّ الْأَطْفَالَ

رُوحٌ تَجْرِي صُوبَ اللَّهِ

وتقول: تعالُ  
ألحيّ قبورُ يا الله  
ألحيّ رمانُ .  
وغداً في البيتِ  
يُبدل وجهُ الميتِ  
بسريّرٍ أو سِروالٍ  
للأطفالِ .

#### اللوحۃ الثالثۃ

- «روروا ابن السنونة السوداء  
أجا الصبح سلم عليّ وطار  
يا روروا لوين بتروح؟  
جبلي معك شقفة من السما  
تطير فيها هون . . .»  
ويطير الأطفال  
خلف غزالٍ أو خيالٍ  
وينامون  
بين الأنجم في سِروالٍ .  
وهناك عيونُ  
تتيس في حلمٍ مجنون:

- مَنْ هَا هُنَا؟  
(لا ضوءَ لا ستارُ  
في العُرفة المليئة  
بالليل والنَّهار،  
لم يبقَ إلا ساعةً بطيئةً).  
- مَنْ هَا هُنَا؟  
(وتوقَّفنا  
وتسولنا . . .)  
(كان المطعم ذئباً يسكرُ  
وتمزَّقنا).

- مَنْ هَا هُنَا؟  
(وانكسرت في نبعنا الجرار).  
(وليس في دروبنا المليئة  
بالوعد والصَّخُورُ  
إلا مفاتيحُ من البخور  
لقفصِ الخطيئة).

غرق الفجر وماتُ  
في غبار الصلوات.

لكن . . .  
لكن في التَّخْمِينُ  
في خطرات البأ  
يصعدُ من آبار الطَّيْنُ  
وجهُ الأطفال .

(بيروت ، ١٩٥٨)

## مزامير الإله الضائع

١ -

هذا الجسدُ  
سِحْرٌ أغوى الأرضِ  
ألا ترضى  
ولهيبُ نَشَةٍ لا يبتَرِدُ، -  
من أطفالِ الجسدِ الأبدِ.  
فيه نُفُوسٌ، فيه نَقَطُفُ  
فيه ما لا يُعرفُ، يُعرفُ.  
معبدٌ قلبي، معبدٌ شعري، معبدٌ عمري  
أعصابي فيه تُوقَدُ مثل بخور الكاهنِ، مثل الجمرِ:  
آه نداءُ الكاهنِ آو ندائي  
يصعدُ يصعدُ حتّى وجه القمر الآخر، حتى أبعدُ.



فخذاكِ لذائذُ حُمَائِيَّةٍ  
لم تُكشَفْ، لم تُعرفِ بعدُ  
فيها يسبحُ فيها يعنو  
ويُقاسِمُها كلَّ ثنِيَّةٍ  
ليلُ الغاباتِ الوحشيَّةِ  
فخذاكِ وبينهما تنموُ أغراسُ الجنسِ البحريَّةِ  
في كلِّ تُوَيْجِ سنفونِيَّةٍ  
فخذاكِ وبينهما القُبْلُ  
والعشاقُ السُّمرِ الأوَّلُ  
والأبطالُ  
وفتوحاتُ  
فخذاكِ، وبينهما الأجيالُ  
شيءٌ يُحضنُ، يُعشقُ يُعبدُ، كيف يُقالُ؟

عَرِي فخذيكِ، أزيحي التَّينَ  
يُسقسقُ نبعُ، يُفتحُ أفقُ  
وتصرُّ أقماراً حتى الخِرْقُ.

يا شهدي، يا شهد الشهوه  
يا أرضاً تُجنى في خلوه  
يا قبه  
فيها كلّ نجى يشهد ربه .  
يا قصرأ يعلو تحت الزغب  
في أحشائك تيه يجرف رمل التعب  
في أحشائك أحياء موج الجنس ، أكابد سورة مدّه  
أرد العالم في لا حده .  
في أحشائك أعرف أوقن أنّ الآتي  
سير حياتي .  
فيك أصور أبداع ، أعلى آثاري  
أوضح أعتم أسراري ،  
فيك أنسىء ، فيك أحقق أنّ الله  
لا يتناهى .

- ٤ -

حِقْوَاك مَرَايِيءُ ، وَالتَّهْدَانِ تُخَوْمُ سُمْرُ فَوْقَ البَصْرِ  
مِنْحَوْتَانِ بَلْفَحِ الشَّرْرِ ،

وعلى السُّرَّة، كلَّ حدودِ الشَّهْوَةِ  
كلَّ الشَّهْوَةِ فِترُ  
أكثر من أرقام الفكر  
وأصغر أضيُّقُ منها الفكرُ.  
هذا الجسدُ  
فيه يحيا الميتُ  
والثورة تحيا والرَّفْضُ  
ويقول الأَبْكُمْ: عَنَيْتُ  
وله ينمو، ينمو العَدْدُ  
وتدور الأرضُ.  
نامي، زندي وُلِدَ الآنَ،  
وقلبي مثل الطفل يصيحُ  
نامي تَلَقُّقُكَ الرِّيحُ  
تعصفُ، تهدأُ، تأتي تمضي  
مثلَ الومضِ .  
نامي في أحشائي نارٌ فيها وَخْزُ  
أنت وجودي أنت الرَّمْزُ.  
يا كلَّ حياتي يا إيداناً  
بوجودي أن يتعمَّقَ غيبه

يا شمساً تخنق تحرق ريبه  
يا مجهولي، نامي، آن مسيري نحو الله  
الضائع، آن وصولي.

(بيروت، ١٩٥٦)

## القافلة

تَصْعَدُ فِي سَفِينَةِ النَّسَاءِ  
تَصْعَدُ فِي مِعْرَاجٍ  
لَا أَرْضَ لَا سَمَاءَ  
تَسْأَلُهَا، مَنْ أَيْنَ؟  
قَافِلَةٌ مِنْ جِثَّةِ الْأَمْوَاجِ  
لَا شَيْءَ لَا إِلَهَ  
يَسْأَلُهَا، مَنْ أَيْنَ؟  
تَكْتُبُ فَوْقَ الصَّخْرَةِ:  
«حِينَ يَمُوتُ الْبَحْرُ  
يُبْعَثُ فِي نَهْدَيْنِ» .

## ظَلَّ

- «لَيَقْفُ، وليَقْفَ خَلْفَ العَتَبَةِ  
هو لا يقدر أن يَعْبَرَهَا،  
إنَّ بيْتِي غَابَةٌ ملْتَهَبَةٌ  
وهو لن يجرؤُ - لن يَعْبَرَهَا» .

خَافَ من ظَلَّ عَلَى تَارِيخِهِ  
تَرْكْتَهُ رُوحَهُ المَغْتَرِبَةَ  
خَافَ أَن يذْكَرَهَا  
حُفِرَتْ أَمْسِ عَلَى تَابُوتِهِ  
كَلِمَاتٌ . . .  
هو أَوْصَانَا لَكِي نَحْفَرَهَا :  
«مَاتَ كِي يَقْدِرُ أَن يذْكَرَهَا» .

## هزينة الأيام الحاضرة

- ١ -

عرباتُ النفيِّ  
تجتازُ الأسوارَ  
بين غناءِ النفيِّ  
وزفيرِ النارِ .

الريحُ ثقيلةٌ علينا ورمادُ أيامنا يلبسُ الأرض . نلمحُ روحنا  
في بريقِ شفرةٍ أو على طرفِ خوذةٍ، وفوقِ جراحنا يتناثر  
خريف الممالح .

بعيداً تجرّ المأساة وجهَ تاريخنا، وتاريخنا ذاكرةٌ يثقبها  
الرعبُ، وسهولٌ من الشوكِ الوحشيِّ .

وعبثاً يترحزح الباب الموصد . ونصرخ ونحلم بالبكاء ولا  
دمع في العيون .

وبلادي امرأة من الحمى، جسرٌ للملذات يعبره القراصنة  
وتصقق لهم حشود الرمل. ومن شرفاتها البعيدة تلمح عيوننا  
أشياء الناس - أضحى لقبور الأطفال، مجامرٌ للأولياء،  
شواهد من الحجر الأسود؛ والحقول مليئة بالعظام والرّخم،  
وتماثيلُ البطولة جيفٌ ناعمة.

ونمضي، صدورنا إلى البحر، وفي كلماتنا يرقد نحيبٌ  
عصرٍ آخر، وكلماتنا لا وريث لها.

نعانق جزر الوحدة، نشمّ الغرابة البكر في فُعر الهاوية،  
ونسلمع مراكبنا ترسل خوارها اليائس، واليأس هلالٌ طالع  
والشرف في طفولته.

ونمضي، الرّعب يحصد الرّكب، في منحدرات من الوحل  
والنحيب، والأرض تنزف دمًا في خواصرنا والبحر سدّ  
أخضر.

- ٢ -

في أيّ ربّ جديدٍ  
تنهض أجسادنا  
ضاق علينا الحديدُ  
وضاق جلاّدنا



باسم خراب سعيد

يئاس ميلادنا -

ضيقه جباه أيامنا والسّون عجفاء راكدة .

ألحياة هزيلة في هذه الدقائق من العمر. النهار لا  
حواجب له ، وليس للشمس أهداب طويلة . ولا همس في  
بردى والفرات ؛ لا لقاح ، لا تلمل . السلالة عاقر في بلادي  
وخرساء ، والتاريخ يحمل بقاياها إلى أرض أخرى .

أيتها الأرض المفروشة بالوبر ، أيتها الخريطة الجامحة  
من القمح والنفت والمرافىء ، يا أرضاً بلون الهجرة وبلون  
الريح .

- هل ستنهض ريح جديدة ضد الرمل ؟

وأنت أيها المطر ، أيها المطر الذي يغسل الأنقاض  
والخرائب ، أيها المطر الذي يغسل الجيف ، ترفق أيضاً  
واغسل هذا التاريخ .

يجهل أن الصخرة الجارحة  
قصيدة مخنوقة في الشفاه  
ويفهم الجاموسة النابحة  
حمامة أو زهرة أو إله .

وذات يومٍ تُبعث الحشُرجاتُ  
في وطن الضفادع الجائعه  
وتنقل الخبزَ لنا والصلاة  
جرادةٌ أو نملةٌ ضائعه .  
هوذا اعتراف الريح التائه،  
هوذا أنا  
اقتلني أيها الصّدق .

- ٣ -

- . . . تَضْفَرِي يا فتوة بأوراقٍ أكثر اخضراراً . لا يزال  
الشعر معنا، لا يزال الحلمُ :

ليحون هذه الأفراس المحمّمة؛ لخراسان هذا  
الرمّاح . بيتنا ذهبٌ على سفوح هملايا، وسمرقند راية .  
بأهدابنا مسحنا جسدَ الأرض، بعروقنا ربطنا الأزهار  
الهاربة . كنا نغسل النهار، والحجر حريزٌ تحت أقدامنا،  
والأفق صهوة جيادنا، ونعالها الرياح الأربع .

تلك هي دروبنا - نتزوج الصاعقة، ونملا الأرضَ بصراخ  
الأشياء الجديدة .

تلك هي تخومنا - نحن أكثر اخضراراً من البحر، نحن

أكثر فتوةً من النهار، والشمس بين أصابعنا نردُّ أخضر.

تلك هي عتبة المستقبل :

أسمر طالعٌ من البحر، مليءٌ بغبطة الفهد، يعلمُ الرفض ؛  
يمنح أسماءً جديدةً وتحت جفونه يتحفُّ نسر المستقبل .

أسمر طالعٌ من البحر لا تُغويه أعياد الجثث ، مليءٌ بالعالم  
مليءٌ برياحٍ تكنس الوباء ، والنسمة الخالقة في رياحه تقسر  
الحجر على الحب ، على الرقص والحب .

آلهة الرمل تنطرح على جباهها والنبعٌ يدفق تحت  
العوسجة ؛ ولا موت في البحر .

... ونأتي إلى بلادنا الأسيرة حيث المصباح كنيسة  
والنحلة راهبة .

- ٤ -

- من أي بلادٍ أتيت ، من أيّ حظيرةٍ لا اسم لها؟

- لم يكتمل وطني بعد . روعي بعيدةً ولا ملكٌ لي .

حيث يبدأ القراصنة ، تنتهي الكلمة . أحمل كتبي

وأَمْضِي - أسكن في فَيْءِ قلبي وأنسج بحرير القصائد سماءً  
جديدة .

أيها البحر يا صديق الجرح أيها الجرح يا صديق الملح .  
أيها البحر الأبيض  
أيها الفرات يا أياماً بلا رقم  
أيها العاصي يا سريراً بلا طفل  
وأنت يا بردى -

لقد شربتكِ جميعاً وما ارتويت ، لكنني تعلّمت الحب ،  
ووحده اليأسُ جديراً بالحب .

يائسٌ وليس من موت ، تائهٌ وأكره الهداية ،  
أترك ورائيَ أصدقائي - قضبانَ الحديد والسجون ، وأترك  
بلادي لأولئك الرواقين المجانين .

وأَمْضِي وليس لي غير أحزاني ومسافاتي ، وفي موكبي  
حبيبتي وشعري ، وفي عينيّ يرقد شعبي الضائع .

وأَمْضِي وأنا أحلم - بالقلوب المعلقة في الدوالي  
والرؤوس المزروعة في الحقول ، وأتذكر أن هذه ليست إلا  
بقايا أحبابي .

وحين تدخل في عروقي رائحة البحر، وتملاً شعر حبيتي  
قُبْلُ الرِّيحِ وتموت الشواطئ وتبعث، لن أتذكر غير أمي  
وسأنسج لها في ذاكرتي حصيراً لينةً تجلس عليها وتبكي.  
وداعاً يا عصر الذُّباب في بلادي.

... ورقٌ ولا حبر، ولا قلبَ ينفضه الحبر والياس نجمةً  
في الجبين والشرف في طفولته والصمتُ رملٌ كاسحٌ ولا ورق.  
- من أي بلادٍ أتيت، من أيِّ حظيرة لا اسمَ لها؟  
- لم يكتمل وطني بعد، روحي بعيدةٌ ولا ملكٌ لي.

(بيروت، ١٩٥٨)

## مريثة القرن الأول

أغنية

مات عيدُ المطرِ  
في وجوه الشعراءِ  
فبدلناه بعيد الحجرِ  
أنا والرّفص ووجه الكَلِمة  
وتركنا  
للنواقيس على أهدابنا  
لسماء العُروة المنفصمه  
وتركنا  
للرياحين لأجران البكاء،  
هذه المريثة المنهزمه .

- ١ -

ذاهلٌ تحت شاشة النبوءة، مأخوذٌ بالرّمْل - يا رجل! قل  
لنا آيةً تأتي . . .

التاريخ يهبط المنحدر في حوار مع النمل، راحلاً على غباره، مليئاً بالمخاط الحلزوني، مليئاً بالأصداف.

كان للقمر عينٌ في عُرتِه. كان للسماء جبين الأفعى: لا طريقَ لا كلمة، لكن البرصُ الباحث عن وجهه، لكن التجاويفُ والشقوق.

افتحْ جوفك يا خليج الطحالب: جمجمة حمامة على العتبة، والحمى تثقب خوذة الفارس.

- ماذا، ما تريد أيها الرومي؟

- ثمراً يا سيدي، ثريداً. الطريق رَسَنُ تائه والجوع فرسٌ تصهل بين أسناني.

- هاتوا ماءً لملاقة العطشان، وافوا الهارب بخبزه!

تحت راية الغبار انهزمنا. ملأنا وجوهنا بالمقابر وكتبنا وصية الجوع. لم تكن أماننا نجمةً تتلألأ، لم تكن غير أشباح الرمل وغير مناجم الرِّيح والدمع.

- «نطلب يا إلهنا بطن الأرض»، هكذا صلينا.

- «خذني يا نهر ولا يغتصبي العدو» هكذا غنت عذارانا.

البحر لَوَّح لنا، البحر بكى لأجلنا. من يسبح هناك؟ قل لنا

فألك يا زبد؛ الموت يبقع أطرافنا وفي عيوننا رماد الكواكب  
الأخيرة.

- ٢ -

جبلٌ يلفظ اسمه أمامي . ورق اعتمادٍ بين يديّ .  
من يشتري هذه الجموع منا - يأخذها بعيداً بعيداً؟  
من يقبل هديةً هذه الحشود؟ وليأخذ معها السيوف  
والخناجر، وليأخذ معها الخلاخيل وليأخذ الوشم والودع .  
في أسواق الماس والأكاجو دللنا . لفيلٍ أعمى كتبنا  
رسالة البيع .

رجلٌ يتبرك بخفّ الوالي، رجلٌ يسقط شقين مقطوعاً  
بالصراط، رجلٌ يمشي بساقين خيطين، رجلٌ مهروسٌ  
بالنذير، رجلٌ يتكلم ولا رأس له، رجلٌ لا اسم له، رجلٌ  
يرسم وجهه بحليب ناقته، رجلٌ يعرف أمه في ولائم الملك،  
رجلٌ يرقد مع زوجته تحت عباءة الأمير في حرير التسري  
والرعب، رجلٌ يحشى جلده بالقشّ ويُعرض في الشوارع،  
رجلٌ ميت يجلد ثمانين سوطاً، امرأةٌ بنهدٍ واحدٍ تُجرّ على  
الأرصفة، طفلٌ يلبس رداء المشنقة .

أحمد أبو الفوارس، كافور أبو المسك، تيمورلنك -



هؤلاء أسياد أرضنا . هم أمراؤنا وهم تيجاننا الفاتحة ، هؤلاء  
حياتنا على الأرض .

والنجوم جيشٌ يبصقُ علينا باسم سيد الأعالي .

أعبري يا سنواتنا مكسورة الجناح . التصقي بجباهنا خشبة  
السقوط بلادنا، و (لتنصر اللهم السلطان ابن السلطان مالك  
البرين والبحرين) .

وأنتم أيها الشيوخ ابحثوا لنا عن رجالٍ وراء تخومنا ،  
رجالٍ يسكن فيهم البرق . باسمهم نضرب نقودنا ، باسمهم  
ترقد نساؤنا فوق وسائد الزئبق .

- ٣ -

هوذا شعبٌ يفرش وجهه للسنابك ، هي ذي بلادٌ أجن من  
ريشةٍ وأذلّ من عتبة .

من يُرينا عصفوراً ما ، شجرةً ما؟ من يعلمنا أبجدية  
الهواء؟ وحدنا في المفارق ننتظر؛ الرملُ يمحو مناراتنا ،  
والشمس تهترىء في تجاعيد أيدينا .

آه يا بلادي يا جلد الحرباء ، عطركِ مطاط يحترق ، فجرك  
وطواطٌ يبكي . غير الفاجعة لا تلدين ، غير الحلزون لا  
ترضعين .

هوذا سيّدك يا خادمة . هاتي له قهوة عدن، هيئي سريره .  
وأنا سيد الرفض - بعيداً عن النافذة أرتجف، وبالفُتات أكتب  
هذه القصيدة .

في أهدابي دمع الرتلاء، في حنجرتي مزمار السموت .  
أتوّج بريشة قلبي وأتزوِّج الرّيح، وليس في طريقي غير  
الخرائط الممزقة وغير الرعد .

لا النهار يعرفني ولا الليل وفوق تراب بلون النسيان أترك  
خطواتي تنمو .

سلاماً أيتها الجثة العائمة يا حياتي . واحترق يا جسدي  
أيها الرؤيا الكثيرة، يا حمامة الوداع !

- ٤ -

كلمات بلا قمر تعبر نحونا . غيمة عابسة تحمل ثلج الميلاد -  
ابتعد أيها المجوسيّ الضيف . قبل الأوان تدخل تخومنا ؛  
وجهُنا أمير على الفراغ وتاريخنا زبد .

ابتعد ابتعد .

الوحل يطرح شباكه علينا .

الوحل يلفُّنا بنسيجه .

الوحل بين الجفون حريرٌ وعند الرقبة

ولا غيم

وأين أنتَ يا رعد يا رسول الطوفان؟ اقتحم اقتحم  
حرّماتنا. نساؤنا ينتظرنك خلف سياج الحلم. في الغرف  
ينتظرنك وفوق العشب. الجنس يلفح جلودهنّ ولا حبيب  
غيرك.

أيها الوطن يا كتل الملح، أيها الهزيل كالهواء، الصابغ  
جلده برماد الكتب، أيها الجندي الشيخ يا وطني،

أمنحك في أحشائي أن تمشي، أمنحك الأنين مع  
خطواتي. تنهّد يا وحيداً مثلي، تنهّد مكسور الخاصرة؛ يائساً  
يائساً تنهّد.

لن أموّه جذور الطاعون - تحت شجرة ياسي أتفياً؛  
أجلس على أهدايي وأنتظر نسر الموت.

على كتفي غمامة هاجر الأمل. كسر مزاميره في صدري.  
أسمع طريقاً تنزف شقائق وأكفاناً، أسمع نحيباً في الشوك.

أسميك أيها اليأس لكنك لا تُسمّى. بعد الآن لن نفترق  
ولن نمشي معاً بعد الآن.

تحت بيارق الرفض أسرج كلماتي - في غضون وجهي  
عرسُ آخر والأرض بين يدي امرأة .

أحارب لحمي الممزق ، أنحني لصداقة البرق ، وبالرعد  
أمسح جراحي .

قاتلُ القمر أنا ، قاتلُ العنقاء المشعوذة . أركب سهوةً  
السمندل وأتنشقُ الجمر .

العقرب يرتسم وطناً . الضفدع يلبس قناع التاريخ .  
المجد يكتبه سطيح والريح - لكن صراخي سيقى : آه يا قفا  
العالم ، آه يا عذوبة الأشياء المنكرة .

فوق طفولة الأرض أكتبُ تاريخنا . لأبجدية المطر أزوج  
الحبر ، ولتخدش وجهي أظفار الشمس ، وليفرح قايينُ  
بحفيده .

حجرٌ تحت أقدامنا يعلو ، يعلو . جرسٌ أخضر في خطوات  
النهار . نجمةٌ جلست عند البحر ، تركت لنا جلدها وغابت .  
ثمة حردونٌ يغازل السماء . ثمة جبلٌ ينبع دخاناً وثلجاً .  
ثمة ساعةٌ لا تأتي .

من كهوف الحجر أيها الشاعر اخرجْ . مع الفأر والسمندل  
والجباحب اخرجْ . واشهد لشعراء يسكنون وطناً لا اسم له ،  
وطناً منفوخاً بالجثث .

لشعراء يقرأون قصائدهم للعشب ،  
أخرجْ واشهد للشعرز -  
بعد القناديل هاوية الأجنحة ، بعد البحر موت الفُجاءة .

- ٧ -

ذاهلاً تحت شاشة الرؤيا مأخوذاً بالرفض - يا رجل ! قل لنا  
آيةً تأتي . . .

## أغنية

النواقيس على أهدابنا  
واحتضارُ الكلماتُ  
وأنا بين حقول الكلماتُ  
فارسٌ فوق جوادٍ من ترابِ  
رثتي شعري وعيناي كتابي .  
وأنا تحت قشور الكلماتُ  
في ضفاف الزبد المؤتلقه  
شاعرٌ غنى فماتُ  
تاركاً تحت وجوه الشعراءُ  
للعصافير لأطراف السماء  
هذه المرثية المحترقه .

## أرواد، يا أميرة الوهم

(مقاطع)

- ١ -

الشعر يحرق أوراقه القديمة، والقصيدة الآتية  
بلادٌ من الرّفْض، - آه، يا كلمات الموتى، آه يا  
بكارَةَ الكلمة. وتلبس القصيدة أهداب الطفولة،  
وتخشع لكوكب الثدي.

- ٢ -

للسّاعات هاربةٌ كمخمل الثلج، للعمر مجنّحاً بالقشّ،  
تتمزّق الحياة، وتصير حروفاً أخرى.

هوذا الحبيبُ يغرق في خليجِ النّهدين. هوذا يعرف المرأة  
والجزيرة المسماة امرأة، وعلى شواطئ العشب العشريني  
يشعل الموج والزبد ويقطع خيط الفجر. هوذا يسبح تحت  
المشدّ، لاصيقاً بالقعر، في مغارة من الحرير والحصى.

لينطفئ هذا الجمر، ليشتعل. لئتمجد هذه الأطراف  
مصلوبةً بالحب. تحت شمسها تنمو عرائش العمر، وجسدُ  
الحبيبة الورق، وجسدُ الحبيبة إنجيل من الحبر.

والحبيب، في فراش الساعات النائمة، يستفيق من دُوار  
الغبطة، مرسوماً بالعرق، مزيناً بجسد امرأة.

- ٣ -

. . . وتأتين يا طفولة يا تميمة العمر، والموت يرسم  
صلباننا، ويقضم أطرافنا الحالمة، وليس عندنا لأرواد غير  
الشعر وغير أطياف من البحر والكنائس. وتتركيننا، يا  
حضورنا، لأيماننا الميتة وحفر صغيرة كأجسامنا مسقوفة  
بالصلاة والرمل.

املأني، يا وهم الطفولة - حيث العمر حربة الموت.  
أمامك أنحنى، أصير قوساً من الشعر، وأستنفذ انحنائي.

- ٤ -

التاريخ يُقبل في جريدة، في لفافة من التبغ، وأنا بأسوار  
الإبر أطوق ذاكرتي، وأصغي إلى الطفولة:  
«شجرة تُفرغ تحت قدمي. شجرة أجهل اسمها. في  
الشجرة أصوات، وبحيرات. وأهدابي سياج يشرد وراءها.



صورة امرأة هذه الشجرة . غيمة تحضن سريري .

أفسحوا لوجهي أن يصارع اليأس . شقوق في نوافذ بيتنا  
تعذب الضوء، والفرح مريضٌ يرقد بلا وسادة . أفسحوا -  
النهار يرسم المدينة بأصابعي، وأنا أسميها امرأةً وحباً،  
وأرفع باسمها راية الطفولة .

صورة مدينة هذه الشجرة، ووراء غصونها يختنق  
الموت .

وأنت يا أهدي، دوري مع كوكبٍ يطلع تحت قدمي،  
وانقلي ضوئه إلى جنين الأيام الآتية . في جفوني قرية من  
العصافير تعبر وتعلو . أغفو، وعلى سريري يجلس كوكب  
السَّهر .

- ٥ -

السَّماء، هذه اللَّيلة، امرأةٌ تفرش سريري

السَّماء فراشة تسكن المكتبة ، -

وأنا كلماتي بلا وقع . أتوج بريشة قلبي، وأتزوج الريح،  
وليس في طريقي غير الخرائط الممزقة وغير الرعد . لا النهار  
يعرفني ولا البيت، وفوق تراب بلون التسيان، أترك خطواتي  
تنمو .

- ٦ -

أرواد، يا أميرة الوهم ، أرواد يا أميرة الحضور، أيها الظلّ  
الآتي من جذورنا - أملك وأنا رياحُ تهاجر، وأنتِ الأرض .  
ولا طريقَ تلحقُ بكِ . وجهكِ فضاءً، وعيناكِ تثقبانِ الدّنيا .  
وها أنتِ تعلّميننا قصائد العشب - حيث نسكن في مدنيّة من  
الجوع والقَتْل، وحيث نتعلّم الحكمة على طرف خيطٍ من  
الرّصاص .

أرواد، يا أميرة الوهم ، أميرة الحُضور، لكِ أَحكَّ عينيّ  
بجلد النّهار، وفي عروقي أترك سفينة العذاب تترجرج  
وتُبحر .

- ٧ -

إنها ساعة الصّمت، ساعة أن أصيرَ شجرةً أو نبعاً . إنها  
ساعة الغبطة ، ساعة أن أصير عاشقاً أو قصيدة .

لأرواد، أزرع الهاوية وأفرح . وفي بلادي أنشر حياتي  
ريفاً كوكبيّاً، وتلالاً من القمح والشّقائق .

إنها ساعة الولادة؛ أسعفيني يا سلالة الكلمات، واخلفني  
لشعري أبعاداً أخرى من السرّ والإشارة . ويا طفولة، يا  
شعري الخفيّ المقبل، أضيئي وجهي، وكوني ملجأ

الفاجعة . باسمك نهمس تحت الجليد، والنهار يقتل النهار .  
ونصرخ : « الموت يقترب ، والمقابر العاشقة تجنّد ثوبها كلَّ  
يوم » ، وتردّين يا طفولة : « أنا الخليفة الطالعة ضدّ الموت » .  
وتجرح شفاهنا أغانٍ من اليأس : « الأرض هيكلٌ يهترىء ،  
والدموع تأسنُ في تجاويها » ، لكنّ أغانيك تأتي إلينا : « أنا  
الحبُّ والشعر الطالعان ضدّ الموت » .

وأنتَ ، أيها الحبُّ أيها الشعر - لكما نرفع أجسادنا ، لكما  
نبدع إرثنا من الموت والطفولة .

(بيروت ، تشرين الأول ١٩٥٨)

## سمّته وفمه حجارة

- ١ -

سمّته وفمه حجارةً :

«خُطايَ لا أريدُها

ثقبلةً، رتيبةً،

وهذه سلاسلِي

أموت في رنينها، -

سلاسلِي حديدُها إلهٌ» .

وقال، والترابُ في جفونه، وصوتهُ غوايةُ :

«الساعةُ التي تَجِيءُ، لم تَجِيءُ» .

- ٢ -

نافذتي مغلقةٌ - نافذتي التي ربطتُ ناظري بضوئِها

وبصري مُكفّنٌ

وحاضري دَم - مصائرُ رهينتهُ ووطنُ مسوّرٍ بموته ،  
والآخرون - الكونُ في بيوتهم  
والله فوق طبّقٍ من العقول مُترَفٍ .

- ٣ -

أغْيِرَ الحَيَاةَ : شَكَلَ سِيرَهَا  
وَأَدْمِيًّا مَوْثِقًا بِخَبْزِهِ  
يَغْصَنُ بِالهُوَاءِ - يَبْقَى اللهُ فِي حَلْقَوْمِهِ مَعْلَقًا ؛  
وَلَا يَزَالُ صَوْتُهُ  
يَجْتَاحُنِي ، وَفَمِهِ حَجَارَةٌ :  
«خُطَايَا لَا أُرِيدُهَا . . .»

- ٤ -

«تُرى ، تُراه جسدي يُعيدنا؟  
وهل يكون موتي انبعاثًا؟  
وهذه حياتنا:  
مُرتلون مَوْسِقُوا سرابهم ،  
وبين كلِّ خطوّةٍ وخطوّةٍ  
مَغاوِرٌ تَأَلَّهَتْ ، وَنُصِبٌ .  
ومات قبلي المسيحُ ، مات آخرون ، بَعْدَهُ . . .  
تُرى ، تُراه جسدي يُعيدنا؟» .

سمعته، وفمه حجارة، يقول: «بَعْدُ، لا نرى  
والساعة التي يقال إنها آتية، توقفت». .  
وقيل، أمسِ غابَ. غابَ صوته  
وقيل مات: وجهه غواية  
وناظراه أفاق، نوافذ جديدة،  
وساعدها جدولا شقائق .  
وقيل: مَنْ خَفَّوا إلى وداعه  
تهامسوا وتمتموا:  
«أبَالِدَمِ انْتَهَى الدَّمُ؟» .

(بيروت، ١٥ / ٣ / ١٩٥٧)

## فهرست القصائد

أوراق في الريح	٥
الفراغ	٢٣
العمل	٣٢
الثائر	٣٨
البعث والرماد	٤٥
١ - الحلم	٤٧
٢ - نشيد الغربة	٤٩
٣ - رماد عائشة	٥٣
٤ - ترتيب البعث	٥٧
مجنون بين الموتى	٦٥
السديم	٧٩
قصيدة إلى الغريبة	٩٢
من الذاكرة	٩٥

٩٧	كلمات لليأس
٩٨	الأطفال
١٠٤	مزامير الإله الضائع
١٠٩	القافلة
١١٠	ظل
١١١	مرثية الأيام الحاضرة
١١٨	مرثية القرن الأول
١٢٧	ارواد يا أميرة الوهم
١٣٢	سمعته وفمه حجارة





## من منشورات دار الآداب

### مجموعات الشاعر

- قصائد أولى، الطبعة الأولى ١٩٥٧.
- أوراق في الريح، الطبعة الأولى ١٩٥٨.
- أغاني مهباز الدمشقي، الطبعة الأولى ١٩٦١.
- كتاب التحولات والهجرة في العالم النهار والليل، الطبعة الأولى ١٩٦٥.
- المسرح والمرآة، الطبعة الأولى ١٩٦٦.
- هذا هو اسمى وقت بين الرمثاء والورد، الطبعة الأولى ١٩٦٦.
- سفرة بصفة الجمع، الطبعة الأولى ١٩٧٥.
- العطفات والأرائل، الطبعة الأولى ١٩٨٠.
- كتاب الحضان، الطبعة الأولى ١٩٨٥.
- احضنا بالأشياء الغامضة الواضحة، الطبعة الأولى ١٩٨٨.

716